AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2160) - السنة (52) صفر 1443هـ / 1 اكتوبر 2021م

الحوار الوطني.. وأمل الخروج من الأزمة السياسية بالكويت

جميع الحقوق محفوظة
المجتمع
مجلة المسلمين حول العالم
لدى مجلة المجتمع

السلام العالمي.. لن يتحقق إلا بالإسلام

مسلمو اليونان.. تاريخ طويل من الاضطهاد

.. ومأساة المسلمين تتجدد في «آسام» الهندية

@mugtama www.mugtama.com facebook.com/mugtama @mugtama

الكويت 750 فلساً. السعودية 10 ريالات. البحرين دينار بحريني. قطر 10 ريالات. سلطنة عمان ريال عماني. الأردن 1.750 دينار أردني. لبنان 4500 ليرة. المغرب 23 درهماً

USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

جمعية التكافل
لرعاية السجناء
حملة
إمنحهم
تعليماً
للمساهمة في سداد مصاريف
مدارس أبناء السجناء
مبلغ 50,000 د.ك
تبرع الآن

اشترك أو جدد

المجتمع

داخل الكويت: 10 د.ك

الدول العربية: 17 د.ك

الدول الأجنبية: 25 د.ك

المؤسسات والشركات: 30 د.ك

شاملة عمولة التحويل

قسيمة اشتراك بمجلة «المجتمع»

اسم المشترك: .....

العنوان: .....

صندوق البريد: ..... الرمز البريدي: .....

تليفون: 0096597228290 - تلفاكس: 0096522560523

الدفع على حساب : 0008881094 بنك بوبيان

(IBAN): KW54BBYN0000000000000008881094

البريد الإلكتروني: sales@mugtama.com

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2160) - (السنة 52)

إسلامية أسبوعية تصدر شهرياً مؤقتاً

تأسست عام 1390هـ - 1970م

جمعية الإصلاح الاجتماعي - الكويت

رأس مجلس إدارتها

حتى 1427/8/10هـ - 2006/9/3م

عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير

سالم حمد القحطاني

مدير التحرير

جمال الشرقاوي

الإخراج الفني

مصطفى عزالدين

الآراء المنشورة بـ«المجتمع» تعبر عن رأي أصحابها وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

المراسلات

العنوان البريدي: الكويت ص.ب (4850) الصفاة - الرمز البريدي (13049)

التحرير

22519539 - 22514180

22513616 (داخلي 205).

mujtamaa@gmail.com

info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع

تليفاكس: 22560523 (00965)

sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني

www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح

www.eslah.com

طبعت بمطابع «الهدف» التجارية

ادخل على موقع «المجتمع»

في هذا العدد

موضوع الغلاف

السلام العالمي.. لن يتحقق إلا بالإسلام

- الحوار الوطني.. وأمل الخروج من الأزمة السياسية 6
- ناشطان كويتيان: نحتاج إصلاحاً سياسياً جذرياً حتى ينصلح المجتمع كله 8
- مصادر لـ«المجتمع»: خفايا مفاوضات صفقة تبادل الأسرى بين الفلسطينيين والصهاينة.. 28
- ما الهدف من وراء محاولة الانقلاب المزعومة في السودان؟ 32
- المسلمون في «آسام» الهندية.. نصف قرن من القتل والتهجير 38
- الاستعمار الناعم.. كيف تغزو الصين قلبَ القارة الأفريقية؟ 44

مقالات

فتح خيبر آية لعباد الله المؤمنين — د. يوسف السند — 12

التوسع في التكفير.. ومنهج «الإخوان» — د. عامر البوسلامة — 37

هل بوسع «إسرائيل» فرض قيادة بديلة في غزة؟ — د. صالح النعامي — 66

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام).

وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■

آية العدد

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

(إبراهيم)

الأستاذ محمد سالم الراشد.. والإدارة بالحب

كثيرون تركوا بصمات فنية واضحة استمرت آثارها بعد أن ودَّعوا أماكنهم في مجال العمل الإعلامي، لكنْ قليل منهم مَنْ ترك مع هذه البصمات الفنية لمسات إنسانية راقية، فكانت إداراتهم نموذجاً يُحتذى به لما يطلق عليه «الإدارة بالحب».

ومن هؤلاء القليل الذين أجادوا في مجال «الإدارة بالحب» الأستاذ محمد سالم الراشد (أبو سالم) الذي قاد «المجتمع» على مدار ثلاثين عاماً نائباً لرئيس التحرير ثم رئيساً للتحرير، قبل أن يترك هذا الميدان إلى ميدان آخر أثبت فيه أيضاً تميزاً وإبداعاً.

لقد تميز الأستاذ الراشد بأنه كان حريصاً على زرع الثقة في قلوب وعقول من يعمل معهم؛ حيث كانت الشورى في أخذ القرار ديدنه الذي حرص عليه وعلى إنفاذه حتى لو كان الرأي الشوري مخالفاً لرأيه هو؛ وهو ما كان يخلق روحاً من التنافس في طرح الأفكار والرؤى التي هي رافد أساس من روافد إنجاح العمل الإعلامي.

كما كان -أطال الله بقاءه ونفع به- صاحب رؤية سياسية وإستراتيجية متميزة لما يدور في العالم من أحداث، مبنية على خبرة علمية أكاديمية (ولعل من تصاريف الأقدار أنه في أثناء كتابة هذه السطور جاء خبر حصوله على الدبلوم العالي للتفكير والتخطيط الإستراتيجي للدولة من جامعة صباح الدين زعيم بتركيا، ونال المركز الأول على الدفعة بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف)؛ وهو ما كان له تأثيره في الارتقاء بالعمل في المجلة من خلال طرح الرؤى المتميزة التي كانت تراعي الواقع وتستشرف المستقبل.

وبالإضافة لما تميز به أبو سالم من جوانب إنسانية وفكرية وإعلامية متنوعة؛ كانت له شبكة من العلاقات العربية والدولية التي أفادت المجلة كثيراً من خلال تنويع المصادر والكتَّاب والمراسلين في أنحاء العالم.

وفي النهاية، فإن «المجتمع» والعاملين بها يسألون الله تعالى للأستاذ محمد سالم الراشد التوفيق والسداد في ميدانه الجديد، وأن يعيننا على مواصلة الدرب على خير وجه، وأن نرتقي في مدارج الفضاء الإعلامي المفتوح؛ لتستمر «المجتمع» في أداء رسالتها الإعلامية باعتبارها «مجلة المسلمين في أنحاء العالم».

والله ولي التوفيق والسداد.■

وكلاء التوزيع:

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت : 22272733 ف: 22272736
distribution@alanba.com.kw

الشركة السعودية للتوزيع
Saudi Distribution Co.

السعودية:الشركة السعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض0096612128000
فرع الرياض: 0096612705837

فرع جدة: 0096626530909
فرع الدمام: 0096638473569

قطر :
دار الثقافة ت: 4622182 / ف: 4621800
البحرين :
مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت :725111 / ف : 723763
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM
Tel: (90 -1) 5120190
Fax: (90- 1) 5140883

الاشتراكات:

الكويت: 10 دنانير كويتية
الدول العربية: 17 ديناراً كويتياً
الدول الأجنبية: 25 ديناراً كويتياً
للمؤسسات والشركات: 30 ديناراً كويتياً

تشمل عمولة التحويل

الإعلانات :
امتياز الإعلان : مجلة المجتمع
ت: 22560525 - 22560526 الكويت.

الكويت

الحوار الوطني.. وأمل الخروج من الأزمة السياسية

كتب - المحرر المحلي:

بعد الأول من يوليو الماضي، ومع انتهاء دور الانعقاد لمجلس الأمة الكويتي، تواصلت «المجتمع» مع بعض النواب لتقييم أداء دور الانعقاد، وجاء الرد: «ننتظر إلى نهاية سبتمبر؛ لأن هناك أموراً عدة تناقش في الغرف المغلقة بعيداً عن الكاميرات».

وفعلاً حدث ما توقعه بعض النواب، حيث خرج رئيس مجلس الأمة مرزوق علي الغانم، في بداية سبتمبر الماضي، قائلاً: أثناء الإجازة البرلمانية كانت هناك العديد من المبادرات من عدة أطراف سواء نيابية أو حكومية، ومنها سمو رئيس مجلس الوزراء، ومن قوى شعبية وسياسية ونخب مجتمعية؛ لإيجاد تفاهمات تساهم بتحقيق انفراجات سياسية للعديد من الملفات الشائكة التي كانت مثار خلاف بالسنوات الماضية.

وقال الغانم: العمل على إيجاد تفاهمات كان يتم بهدوء بعيداً عن الإعلام، وبعيداً عن بعض الأطراف التي دائماً ما تحاول أن تعرقل أي مبادرات إيجابية، لكني سعيد بأن أذكر بكل ثقة أن هناك تقدماً كبيراً بالعديد من هذه المبادرات التي تعكس حسن نوايا القائمين عليها من أكثر من طرف.

وتنقل «المجتمع»، عن مصادر خاصة بها، تفاصيل ما أدلى به رئيس مجلس الأمة، حيث تتلخص المبادرة البرلمانية في دخول عدد 4 إلى 6 من نواب المعارضة للحكومة، مع تعهد الحكومة بتعديل قانون المسيء، وتمرير قانون العفو العام الشامل والمصالحة العامة، وقانون الجنسية، وقانون الانتخاب، وقانون المحكمة الدستورية.

بيان المهجرين

وأصدر عدد من النواب بياناً، أكدوا فيه أنه من المعيب جداً أن تكون حقوق الناس المشروعة سلعة للمساومات السياسية المنبوذة، ورداً على هذا البيان، أصدر النواب المهجَّرون في تركيا بياناً، أكدوا فيه أنه «أصبح من الواجب إيضاح الموقف لأبناء الشعب الكويتي، فهو صاحب الحق الأصيل، ولقطع الطريق أمام أي مغالطات أو مزايدات سواء كانت بحسن نية أو بغير ذلك، حول مواقفنا الثابتة وكرامتنا ومبادئنا التي دفعنا وما زلنا ندفع أثمانها التي نحرص عليها كحرصنا على حياتنا وعلى كرامة وحب شعبنا».

وقالوا، في بيانهم: «لقد نمى لعلمنا مؤخراً أن هناك مقترحاً للحوار الوطني بين السلطتين تحت رعاية سمو أمير البلاد حفظه الله ورعاه، قدمه نواب من الأغلبية، وعليه نؤكد أن أي حوار وطني يكون برعاية سمو الأمير هو أمر محمود وكريم، فهو والد الجميع».

ووقع على هذا البيان النواب السابقون: مسلم البراك، وجمعان الحربش، ومبارك الوعلان، وسالم النملان، وخالد الطاحوس، والناشطون: مشعل الذايدي، وناصر الرداس، ومحمد البليهيس، وعبدالعزيز جارالله، ولم ينضم النائب د. فيصل المسلم للبيان، وغرد قائلاً: «جواباً للتساؤلات عن موقفي من بيان الإخوة أقول بألم: «تم الاتصال بي أمس متأخراً لإبداء رأيي في بيان سيصدر، وبعد وصوله اليوم ظهراً طلبت عقد اجتماع للتوافق، ولما تأخر الرد أرسلت رفضي نقد النواب، وتأييد فكرة المؤتمر الوطني وصدور عفو كريم قبله ولم أتلق رداً ثم فوجئت بنزول البيان».

وأكدت مصادر موثوق بها لقاء جمع د. فيصل المسلم، ومسلم البراك، وتم الاتفاق على أن العفو الكريم لا يسبقه أي إجراء، وهو بوابة المصالحة الوطنية.

ترحيب نيابي

وقد رحب بعض نواب مجلس الأمة الحاليين بهذا البيان، ووصف النائب أسامة الشاهين البيان بالمستحق، وقال: «بيان المهجَّرين مستحق ونعتز بالموقعين عليه؛ نواباً

الشاهين:

بيان المهجَّرين مستحق ونعتز بالموقعين عليه وسيظل العفو أولوية للشعب

وشباباً إصلاحيين، وكان وما زال وسيظل العفو أولوية للشعب تجاه أبطاله».

وقال النائب د. عبدالعزيز الصقعبي: «ستظلون رموزاً لكم تاريخكم الوطني المشرف، ولا يتحقق الإصلاح إلا بالنقد السياسي البناء»، وأضاف: «جميعنا في مركب واحد نتطلع لعودة كريمة، متمسكين معكم بثوابتنا الدستورية التي هي عنوان ومنطلق أي مصالحة وحوار وطني جاد وبرعاية سامية».

وقال النائب فايز الجمهور: «بعد هذا البيان المستحق أستطيع القول: إنها خطوة في الاتجاه الصحيح، وتقويم لمسار هذه القضية المبدئية والأخلاقية، ومن هذه الأحداث نستطيع التوصل إلى عدة حقائق؛ أولها: أن الخلاف بين أبناء المجتمع الكويتي يبقى في إطار حب الكويت والولاء للكويت ولحضرة صاحب السمو أمير

الجمهور:

النواب في تركيا لم يكونوا أصحاب مصلحة خاصة وإنما ضحوا بمصالحهم لكشف الفاسدين

البلاد حفظه الله ورعاه، ثانياً: تبقى الخلافات السياسية سمة لكل المجتمعات الديمقراطية، ولكن كل المختلفين سياسياً مجمعون على حب الكويت، ثالثاً: العمل السياسي يحتاج إلى الصبر والتأني قبل تبادل الاتهامات، رابعاً: أحياناً الحوارات السياسية لا تكون دائماً تحت الكاميرات وأسئلة الصحفيين، وإنما تحتاج إلى الغرف المغلقة والتفاهمات لمصلحة البلد».

وأضاف أن «النواب في تركيا لم يكونوا يوماً أصحاب مصلحة خاصة، وإنما ضحوا بمصالحهم الشخصية لأجل كشف الفاسدين، وأثبتت الأيام صدق نواياهم، وكذلك فإن أغلب النواب الحاليين يريدون مصلحة الكويت فقط، والخلاف من سمات العمل السياسي، ولا شك أن الحوار والمصارحة هما أساس أي ارتقاء للوطن».■

بخور
مبيت

٥ تولة (١٠ جرام تقريباً)

الشايع
منذ SINCE 1969
الشايع للعطور
AL SHAYA PERFUMES

www.alshayaperfumes.com

@alshayaperfumes

خلال ندوة افتراضية لـ«المجتمع»:

ناشطان كويتيان: نحتاج إصلاحاً سياسياً جذرياً حتى ينصلح المجتمع كله

حوار - سعد النشوان:

أقامت «المجتمع» ندوة، عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي، مع ناشطَيْن سياسيَّيْن كويتيَّيْن، هما المحامي معاذ الدويلة، وفلاح ضاحي الهاجري، رئيس جمعية الإصلاح فرع الجهراء سابقاً، تناولت الكثير من القضايا السياسية والاجتماعية التي تمور على الساحة الكويتية.

معاذ الدويلة

فلاح الهاجري

بداية، أكد الناشط السياسي المحامي **معاذ الدويلة** أن الكويت بحاجة إلى مؤتمر وطني جاد، للخروج بمجموعة من القرارات والتوصيات العملية لإنقاذ البلد من حالة الجمود السياسي التي تعيشها على مدار ثلاثة عقود.

وقال الدويلة: نحن في دولة الكويت نعيش مسلسلاً سياسياً مُمِلاً؛ فالأحداث نفسها تتكرر، ولكن باختلاف الأشخاص والأسماء، حيث نُجري انتخابات، وبعدها يتم تشكيل الحكومة، ثم تحدث أزمة سياسية بين المجلس والحكومة، إلى أن يتم حل مجلس الأمة، والدعوة إلى انتخابات جديدة، ثم تتكرر هذه الأحداث باختلاف الأشخاص؛ فنحن نعيش حالة من الجمود السياسي، وإلى الآن لم نحرز أي نوع من أنواع التقدم السياسي، فنحن ثابتون متجمدون في مكاننا والأحداث تتكرر خلال العقود الثلاثة الماضية.

وأرجع السبب في هذا الأمر إلى طبيعة آلية انتخاب مجلس الأمة، وآلية تشكيل الحكومة، واصفاً إياها بأنها «آلية غير ناضجة وغير فاعلة».

ورأى المحامي الكويتي أن الحل يتمثل في الإصلاح السياسي الجذري؛ لأن سبب المشكلات السياسية غياب الإصلاح السياسي، وما يترتب عليه من وجود مشكلات عديدة؛ منها المشكلة الإسكانية، والتعليمية، والاقتصادية، وحل كل تلك المشكلات وغيرها يمكن تحقيقه في عملية إصلاح سياسية جذرية، من خلال تغيير منظومة الانتخابات، وتغيير آلية تشكيل الحكومة.

ويتمثل هذا التغيير، حسب الدويلة، في نظام انتخابي متقدم، يسمح للناخب الكويتي باختيار أغلبية نيابية تمثله، ويسمح لها بتشكيل حكومة من قبل الأغلبية البرلمانية، ومدعومة منها، لتحقيق الاستقرار السياسي المنشود.

وذهب إلى أن النظام الانتخابي الحالي مصمم حتى يمنع المواطن من أن يشكّل أغلبية داخل مجلس الأمة؛ فالمجلس عبارة عن مجموعة أقليات، والتيار والتكتل الوحيد الذي يملك الأغلبية هو الحكومة، ممثلة في 16 وزيراً، فالحكومة هي الحزب السياسي الوحيد صاحب الأغلبية داخل مجلس الأمة، يدخلون الجلسة ببرنامج سياسي واحد، ويتفقون على أجندة واحدة، وعلى رأي سياسي واحد، بالمقابل نواب مجلس الأمة عبارة عن مجموعة من الأقليات المتناثرة، وهم لا يستطيعون أن يشكلوا أغلبية تمثّل الشعب، وهذا أساس الجمود السياسي الذي نعيشه.

وأشار المحامي الكويتي إلى أن أصحاب النفوذ هم المستفيدون الوحيدون من بقاء الوضع على ما هو عليه؛ فهم مستفيدون من التخلف الإداري الذي نعيشه، ومن ضعف الرقابة، ومن تراجع الدولة في كافة المجالات؛ لذلك يحاربون أي وزير أو نائب إصلاحي، ويحاربون خيارات الشعب الكويتي؛ لأنهم يريدون نائباً أصم، يدخل معهم في إدارة ومؤسسات الدولة.

العفو الشامل

وبالتطرق لموضوع مهم على الساحة الكويتية وهو قانون العفو الشامل عن بعض المحكومين من السياسيين والبرلمانيين السابقين، قال الدويلة: أقدم التحية للرموز

الوطنية الموجودة في تركيا، هؤلاء الرموز دفعوا ثمن الوقوف أمام أباطرة الفساد، وثمن حرياتهم الأساسية كمواطنين وبشر، ورضوا بالغربة خارج الوطن في سبيل مواجهة الفاسدين في الكويت، لذا من هذا المنبر أوجِّه لهم التحية والتقدير والسلام، واستطرد قائلاً: د. جمعان الحربش، ومسلّم البراك، وباقي الرموز الوطنية والشبابية الموجودين في تركيا، هؤلاء يجب أن يكونوا عنصراً أساسياً في منهج التربية الوطنية، فهؤلاء مثال للمواطن الصالح، وكان من المفترض تكريمهم وليس تهجيرهم.

وقال الدويلة: على حد علمنا سيتم العفو عن هؤلاء، فقد سمعنا عن ذلك مثل آخرين، ونرجو أن يكون ما سمعناه في مسألة العفو صحيحاً، فنحن نسمع ونراقب، إلى أن تتم الأمور على خير إن شاء الله تعالى.

وحول قضية مشاركة الحركة الدستورية الإسلامية (حدس) في الحكومة، ذكر عضو الحركة أن التيار الوطني المعارض بشكل عام بشتى انتماءاته من المستحيل أن يشارك في حكومة لا تحمل أي أجندات إصلاحية، أو حكومة لم تقدم أي بادرة لمواجهة الفساد، وتعمل على الإصلاح الجذري لكل مؤسسات الدولة، فلو كانت الحكومة صادقة وتعمل على مشاركة التكتلات السياسية لها في الحكومة، عليها أن تقوم بعمل مبادرات إصلاحية، مثل: حسم موضوع العفو، أو إلغاء القانون المسيء، وإصلاح النظام الانتخابي، وإصلاح قانون الجرائم الإلكترونية، وغيرها من القوانين، مضيفاً: هذه باقة إصلاحية مستحقة يجب أن تضعها الحكومة في اعتبارها، وإلا فكيف نشارك في حكومة لا نعرف موقعها من الإعراب في حل المشكلات المتراكمة التي نعايشها يومياً؟!

وقال: فلو كانت الحكومة صادقة في دعوة التيارات الإصلاحية بشتى انتماءاتها الإسلامية والليبرالية والشعبية؛ فعليها أن تعمل على اتخاذ مبادرات إصلاحية جذرية لشتى الملفات، وعلى رأسها ملف العفو.

واختتم الدويلة قائلاً: أحب أن أرى الكويت في أفضل حالة، وأروع صورة، أراها دولة متطورة تطبق شرع الله سبحانه وتعالى، وتحترم حقوق الإنسان، وأن يكون فيها نظام ديمقراطي متقدم، وتحافظ على المال العام، وتحفظ للمرأة حقوقها، وأن يكون للعادات

الدويلة:

نعيش منذ 30 عاماً حالة من الجمود السياسي بسبب آلية انتخاب مجلس الأمة وتشكيل الحكومة

المتنفذون هم المستفيدون من التخلف الإداري وضعف الرقابة وتراجع الدولة بكافة المجالات

والتقاليد احترامها ومكانتها، وأن ينال الشباب دوره في منظومة العمل السياسي، وأن توفّر البدائل المتعددة لوسائل الدخل غير النفط، وأن تدخل الكويت في مصاف الدول المصنّعة، بدلاً من الاعتماد على آبار النفط وبيعه، متسائلاً: ما الذي يمنع الكويت من الدخول في ركب الدول الصناعية الكبرى؟ لماذا لا يكون لدينا مختبرات علمية متطورة؟ لماذا لا تجري الكويت مسابقات دورية للبحث العلمي لاستقطاب العلماء والتقنيين الكويتيين لعمل منظومة صناعية كويتية متقدمة؟

مجتمع محافظ بطبعه

من جانبه، ذكر الناشط الاجتماعي والسياسي **فلاح ضاحي الهاجري**، رئيس جمعية الإصلاح فرع الجهراء سابقاً، أن العمل الاجتماعي له دور كبير في تنمية اللحمة بين الشعب الكويتي، وأنه أساس العمل السياسي، فأي سياسي لا ينفك عن الحاجة لرأي يخص المجتمع لازدهاره.

وأكد، في كلمته، أن الكويت عبارة عن ديوانية مصغرة، والديوانية عبارة عن مجتمع مصغر، وفي الكويت لا ينفك العمل السياسي عن العمل الاجتماعي، فبفضل الله سبحانه وتعالى، أصبح تلاحم الشعب الكويتي ووحدته هو ما يميز هذا الشعب الكريم، فهو شعب متلاحم على مستوى أكبر، وثبت ذلك في أيام الغزو الغاشم.

وأشار إلى أن العمل الاجتماعي له دور كبير في تنمية اللحمة بين الشعب الكويتي، مستدلاً على ذلك بلجان التكافل التي سطرت أروع الأمثلة في تلاحم الشعب الكويتي مع قيادته، من خلال الصورة المشرقة لقوة وصلابة هذا الشعب الكويتي العظيم؛ فالعمل الاجتماعي هو أساس العمل السياسي، وأي سياسي لا ينفك عن الحاجة لرأي يخص المجتمع ويسعى لازدهاره، حسب الهاجري.

وأشار عضو جمعية الإصلاح إلى أن هناك دلائل ووثائق موجودة منذ أكثر من مائة عام، تؤكد أصالة الشعب الكويتي والتزامه بقيمه؛ فالمساجد مليئة بالرجال والنساء، فضلاً عن وجود الكتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم، ووجود آلاف الحفظة للقرآن الكريم سنوياً، فهذه هي طبيعة الشعب الكويتي.

وحول بعض التصرفات التي تتنافى مع قيم وأخلاقيات المجتمع الكويتي المحافظ، التي بدأت تنتشر في بعض المجمعات والأسواق، قال الناشط الاجتماعي: المادة (49) من الدستور الكويتي تنص على الآداب العامة والأخلاق؛ لذا ندعو إلى تعزيز الهوية الاجتماعية، والآداب والأخلاق الإسلامية، وعلى الجهات التنفيذية ممثلة في وزارة الداخلية تفعيل هذه القوانين التي تحث على الآداب العامة.

وأرجعَ السبب في كثير من الجرائم والتصرفات السلبية إلى المخدرات؛ حيث قال: أريد أن أؤكد أن عدم اللبس المحتشم، وقضايا الخطف والقتل وهتك الأعراض، وغيرها من القضايا يرجع سببها الرئيس إلى المخدرات، وهناك إحصائية صدرت مؤخراً تنص على أن 65% من قضايا الإجرام في الكويت ترجع إلى انتشار المخدرات، وقد أصبحت المخدرات تباع بأبخس الأثمان، متسائلاً عن دور وزارة الداخلية في التصدي لهذا الأمر.

كما أرجع السبب أيضاً إلى عدم وجود قوانين رادعة ومنجزة؛ فالقاتل لا بد أن يُقتل حسب الشريعة الإسلامية، كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ (البقرة: 179)؛ حتى يكون رادعاً لمن تسوّل له نفسه أن يزهق روحاً، فلا بد أن يكون ماثلاً أمام ناظريه أن من قتل يُقتل، على الفور بدون تأخير؛ لأن التأخير في تنفيذ القصاص سيُفقد عامل الردع والخوف ويضعفهما في قلوب من يفكّرون في ارتكاب الجرائم.

ودعا الهاجري الحكومة إلى تسريع عقوبة الجاني من خلال إقرار قوانين

www.mugtama.com

رادعة لقضايا القتل والمخدرات، والعمل على التوعية الاجتماعية من خلال المدارس ووزارات الشؤون والأوقاف والتربية والداخلية؛ بحيث تكون كلها مجتمعة فريقاً خماسياً لمواجهة هذه القضية؛ بحيث يكون في كل حي من أحياء الدولة مركز متخصص يقوم بتوعية أفراد المجتمع ويرشدهم.

بالإضافة إلى القوانين، أكد الهاجري ضرورة إيجاد نهضة مجتمعية، والعمل على الحفاظ على الهوية المجتمعية والإسلامية، داعياً السلطتين التنفيذية والتشريعية إلى أن تكون هذه الأمور محط اهتمامهم؛ حتى يأمن الواحد على نفسه وماله وعرضه.

الشباب والمرأة

وبالحديث عن مكونين أساسيين من مكونات أي مجتمع وهما الشباب والمرأة، أشار الناشط الكويتي إلى أن الحكومة تعلن نظرياً فقط ثقتها في الشباب، أما عملياً فلا يتم ترجمة هذه الثقة على أرض الواقع؛ فلا يوجد مستشارون من الشباب، ولا مبادرات شبابية تستقطبهم، بل المبادرات التي تخص الشباب موجودة في أدراج الحكومة، وشعارهم: «قل ما تريد، وأنا أفعل ما أريد»، يحدث هذا في وقت تتجاوز برامج وسائل التواصل الاجتماعي الجهاز الإعلامي الحكومي في نقل المعلومة، حسبما قال.

أما عن المرأة، فذكر الهاجري أن المرأة وإن كانت أخذت بعض حقوقها السياسية مؤخراً، فهناك حقوق أخرى اجتماعية وسياسية لم تأخذها، مشيراً إلى أن الحركة الدستورية الإسلامية (حدس) قدمت مشروعاً كاملاً منذ عام 2006م، وما زال في أدراج الحكومة، وهذا المشروع يمنح المرأة الكويتية حقوقها السياسية والاجتماعية، مستطرداً: ونحن اليوم أمام من يتبجح بأنه أعطى المرأة حقوقها، وهو في الواقع يمنعها حقوقها، وهي الحكومة.

وانتقل الناشط الكويتي إلى موضوع مهم وحساس آخر، وهو موضوع المواطنة واستخدامه كسلاح في يد الحكومة ضد مخالفيها؛ حيث أكد أن المواطنة عمل وولاء، لكن هناك شخصيات مشهورة على مستوى الوطن بمجرد مخالفتها للحكومة في الرأي

الهاجري:

65% من قضايا الإجرام ترجع إلى انتشار المخدرات التي أصبحت تباع بأبخس الأثمان

التعامل مع «البدون» بهذه الصورة المهينة ونحن في بلد الإنسانية يجب ألا يمر مرور الكرام

«حدس» قدمت مشروعاً كاملاً عن حقوق المرأة السياسية والاجتماعية منذ عام 2006م وما زال بأدراج الحكومة

يتم تهديدها بسحب الجنسية، وهذا السلاح من الحكومة مرفوض جداً؛ فالحكومة تملك هبة الجنسية، وهذا أمر سيادي، أما سلب الجنسية فيجب ألا يخضع لمزاج وزير الداخلية أو غيره.

وأضاف: نحن لا نسمح للحكومة باستخدام هذا السلاح لتهديد حرية المواطن الكويتي، فإن كان نواب الشعب لم يسلموا من التهديد بسحب جنسياتهم، فما بالك ببقية الشعب؟

وفي موضوع ذي صلة بقضية المواطنة، تطرق الهاجري لقضية «البدون» في المجتمع الكويتي، قائلاً: أنا أجزم أن إخواننا «البدون» حريصون جداً على الشعب الكويتي، وعلى الإدارة الكويتية، وعلى المسؤولين أن يقدروا هذا الفهم وهذا الوعي؛ فـ«البدون»، شئنا أم أبينا، هم أبناء هذا الوطن أباً عن جد، وأوضح قائلاً: نحن لا نقول: إن كل «البدون» مستحقون للجنسية؛ فالجهاز المركزي للمقيمين بصورة غير قانونية لديه كل المعطيات، ولكن إجبارهم وإذلالهم بهذه الصورة المهينة، ونحن في بلد الإنسانية، يجب ألا يمر مرور الكرام، لا بد من محاسبة من يتسبب في ذلك.

وأضاف الهاجري: فلو وضعنا شروطاً للحصول على الجنسية الكويتية، فعلينا تنفيذها؛ فهناك من يستحق الحياة الكريمة والتطبيب والتعليم بالمجان، والإقامة الدائمة، نحن لا نجزم بأن كل «البدون» كويتيون، ولكني أجزم أن فيهم من قدّموا أرواحهم في سبيل هذا الوطن، لكن الحكومة لا تقابل هذا بشيء من التقدير؛ فهناك من «البدون» من قدَّموا أرواحهم فداء لحياة سمو الأمير، ومع ذلك يتم مماطلتهم في منحهم الجنسية الكويتية، مؤكداً أن «البدون» إخواننا، وهم أهل الكويت، وهناك منهم من يتجاوز ولاؤه للكويت سُرَّاق المال العام.

السياسة حياة

وحول اهتمام المجتمع بكل فئاته بالسياسة وأمورها، ذكر الهاجري أن هذه ظاهرة صحية؛ لأن السياسة من الدين، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يخاطب الروم والفرس من خلال السفراء؛ فالحياة السياسية لا تنفك عن الحياة المدنية، مستشهداً على ذلك بأن ابن تيمية في كتابه «السياسة الشرعية» وغيره من الكتب يتناول ذلك، مؤكداً: السياسة حياة للشعب الكويتي، وهي معاشهم وحياتهم ولا تنفك عن الدين ولا عن القضايا الاجتماعية، فالسياسة اجتماع.

وأوضح قائلاً: عندما نتحدث عن

السياسة نتحدث عن الأخلاق والمبادئ والقيم والمحافظة على البلد، ونتحدث عن مقدّرات شعب وعن هوية، واليوم الهوية بدأت تنسلخ، حتى اللغة العربية نكاد نفقدها، ولا بد أن نعلم أنه من الدين المحافظة على اللغة العربية، والمحافظة على الهوية، والمحافظة على القيم والمجتمع، خصوصاً أن هناك حديثاً نشازاً بدأ يدور الآن عن إباحة الخمور، والمجتمع الكويتي يرفض ذلك بكل فئاته، فالقضية سياسية، ولكنها في الوقت نفسه قضية دينية واجتماعية.

ووجه الناشط الاجتماعي في نهاية حديثه كلمة للشعب الكويتي قائلاً: علينا المحافظة على تعاليم هذا الدين الحنيف، وللالتزام بهذه التعاليم انعكاس على تربيتنا ومجتمعنا؛ فلا بد من المحافظة على القيم، داعياً إلى تربية النشء وربطهم بالمسجد، والصحبة الصالحة، مضيفاً أن اللجان الخيرية تعينهم على حفظ كتاب الله، وعلى تجاوز مرحلة المراهقة الخطرة، وهذه اللجان الخيرية، والكلام للهاجري، موجودة في كل منطقة كويتية، داعياً إلى الالتحاق بحلقات تحفيظ القرآن الكريم، ومؤكداً أن جمعية الإصلاح الاجتماعي أبوابها مفتوحة أمام كل الفئات، ابتداء من الروضة وانتهاء بالجامعة، فالعمل الاجتماعي لا يقل أهمية عن العمل السياسي، والكل مترابط في سبيل نهضة هذا الوطن.■

www.mugtama.com

تمارين نحو التغيير

أحمد الهولي

عندما أقرأ كتاباً أو مقالاً أو منشوراً؛ ورقياً كان أو إلكترونياً، يحكي قصة معينة أو طرفة أو موقفاً يحمل معانيَ عظيمة، وقيماً وسلوكاً يرغب فيه كل سوي، سرعان ما أتأثر لأني وجدت بغيتي في إصلاح نفسي والتأسي بمن سبقني، وأول تفكير أقوم به هو تمرير ذلك المنشور لغيري، سواء لأبنائي أو أرحامي أو أحبابي وأصحابي، متناسياً نفسي التي هي أولى أولاً بالبناء والتشييد، وتوقها للدرجات الرفيعة، وتسوّرها شرفات العز، على نحو أحلم فيه كإنسان مسلم، رغم إيماني بنقص الإنسان لأنه لا كمال إلا لله وحده.

نعم أتأثر وأرغب بإصلاح ذاتي بعدما قرأت مواقف وأقوالاً وأخلاقاً وحِكَماً تجعلني بعد توفيق الله عز وجل كما أريد وأرغب، ولكن عند المواقف الحقيقية يتخاذل العزم عندي، وتضعف النفس، ويتبدد كل شيء!

ولا أستطيع تطبيق ما قرأت وما أثَّر في معنوياتي وحفَّزني لذلك التغيير، فما المشكلة؟ وما الحل؟

المشكلة هنا عدم تعاهد ذلك التغيير الذي ترغب به، سواء كان تغيير عادة غير مرغوب بها، أو إضافة سلوك قيمي جديد في حياتي.. والحل ببساطة هو التمرين!

نعم، فكما تتمرن وتقوم بتدريب ذهنك على الحفظ وسعته أو سرعته وما شابه ذلك، أو على مهاراتك في العمل والوظيفة لتطويرها، وكما تتمرن وتهتم بتدريب جسدك على أداء التمارين والمهارات، كذلك السلوك والتغيير يحتاج منك ذلك.

اختر قيمة أو سلوكاً لا ترغب به وتريد تغييره، وابدأ هذا التمرين اليومي عليه:

1 - الدعاء: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: 186)، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: 60)، ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ (الفرقان: 77)، وفي الحديث: الله عزَّ وجلَّ حَيِيٌّ كريم يستحيي إذا رفع الرجل يديه أن يردهما صفراً خائبتين.

فاطلب منه بإلحاح هذا الطلب وأقرنه بدعائك اليومي، وتوكل عليه.

2 - اجعل معك ورقة أو بطاقة في الجيب تكتب فيها القيمة التي تريد أو السلوك الذي لا ترغب به، واقرأها مثلاً وراء كل صلاة (5 مرات) حتى تَثبت؛ لأن أوقات الصلاة تغطي اليوم كله.

3 - ضع ورقة لاصقة بالأماكن التي تعتاد الجلوس فيها في يومك وليلتك، مثل: مكتبك بالعمل، مكتبك في البيت، مقود السيارة، عند سريرك، عند المرآة التي تنظر فيها يومياً.. إلخ.

4 - القراءة: اقرأ كثيراً حول هذا الموضوع ستجده في السير والتراجم خصوصاً حول حياة الصحابة وفي قصص العلماء والصالحين، فهذه القراءات ينبغي العناية بها وتعاهدها خلال الأسبوع، فقصص الأسوة الحسنة هي التي تقوم بالتغيير الجذري لهويتنا وشخصيتنا.

5 - الاستماع: استمع تحديداً حول القيمة التي تريد، وكرر كلام المحاضر أو المختص، واحفظ عباراته أيضاً ففيها نفع، اجعلها 5 أيام في الأسبوع لا تتعدى 5 - 8 دقائق.

6 - التأسّي بأخلاق مَنْ حولك، فحتماً ستجد عادة أو قيمة جميلة في أحد أصحابك الصالحين، أو سلوكاً لا ترغب به، ستجد عكسه أو المغاير له في أحدهم.

7 - عند شعورك بالتغيير المطلوب، لا تنسَ أن تتعاهد ذلك مرة في الأسبوع على الأقل، فإن القلوب تتقلب والنفس تعجز وتكسل، لا بد من شحذ الهمة باستمرار.

8 - ابتعد عن البيئات والمجالس التي ترجع لك هذه العادة، فمن ترك شيئاً لله عوَّضه الله خيراً منه، وكما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً ﴿2﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق).■

مقال

د. يوسف السند
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت

في ظلال خيبر (3)

فتح خيبر آية لعباد الله المؤمنين

إن ثبات المؤمنين مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في «صلح الحديبية» كان مبشراً لفتح «خيبر».

«ثم أخبر سبحانه عن رضاه عن المؤمنين بدخولهم تحت البيعة لرسوله، وأنه سبحانه علم ما في قلوبهم حينئذ من الصِّدق والوفاء، وكمال الانقياد، والطاعة، وإيثار الله ورسوله على ما سواهُ، فأنزل الله السكينة والطُّمَأْنينة، والرِّضا في قلوبهم، وأثابهم على الرِّضا بحُكمه، والصبر لأمره فتحاً قريباً، ومغانم كثيرة يأخذونها، وكان أوَّلُ الفتح والمغانم فتحَ خَيْبَرَ، ومغانمها، ثم استمرت الفتوح والمغانمُ إلى انقضاء الدهر.

ووعدهم سبحانه مغانم كثيرة يأخذونها، وأخبرهم أنه عجّل لهم هذه الغنيمة، وفيها قولان، أحدهما: أنه الصلح الذي جرى بينهم وبين عدوهم.

والثاني: أنها فتحُ خيبر وغنائمها، ثم قال: ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ﴾ (الفتح: 20)، فقيل: أيدي أهل مكة أن يقاتلوهم، وقيل: أيدي اليهود حين همُّوا بأن يغتالُوا مَنْ بالمدينة بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه من الصحابة منها.

وقيل: هم أهل خيبر وحلفاؤهم الذين أرادوا نصرهم من أسد وغطفان.

والصحيح تناول الآية للجميع.

وقوله: ﴿وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الفتح: 20)، قيل: هذه الفعلة التي فعلها بكم، وهي كفُّ أعدائكم عنكم مع كثرتهم، فإنَّهُم حينئذ كان أهل مكة ومن حولها، وأسدٌ وغَطَفَان، وجمهورُ قبائل العرب أعداءً لهم، وهم بينَهم كالشَّامَة، فلم يصلوا إليهم بسوء، فمن آيات الله كفُّ أيدي أعدائهم عنهم، فلم يصلوا إليهم بسوء مع كثرتهم، وشدة عداوتهم، وتولى حراستهم، وحفظهم في مشهدهم ومغيبهم.

وقيل: هي فتح خيبر، جعلها آية لعباده المؤمنين، وعلامة على ما بعدها من الفتوح، فإن الله سبحانه وعدهم مغانم كثيرة، وفتوحاً عظيمة، فعجَّل لهم فتحَ خيبر، وجعلها آية لما بعدها، وجزاءً لصبرهم ورضاهم يومَ الحديبية وشكراناً، ولهذا خصَّ بها وبغنائمها مَنْ شهد الحديبية.

ثم قال: ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً﴾ (الفتح: 20)، فجمع لهم إلى النصر والظَّفر والغنائم والهداية، فجعلهم مهديِّين منصُورين غانمين، ثم وعدهم مغانم كثيرة وفتوحاً أخرى، لم يكونوا ذلك الوقت قادرين عليها، فقيل: هي مكَّة وقيل: هي فارس والروم، وقيل الفتوحُ التي بعد خيبر من مشارق الأرض ومغاربها»[1].

عبر ودروس:

1 - إن صدق الصحابة رضي الله عنهم في بيعتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية ورضوان الله عليهم هيّأ لهم الدعوة إلى الله تعالى والانتشار بين القبائل؛ فكانوا كالنور في الظلام، وكالأحياء بين الأموات؛ مما كان له الأثر في دعوة الناس إلى الإسلام؛ حيث دخل الناس في دين الله أفواجاً.

2 - إن الصدق مع الله تعالى والوفاء له وكمال الانقياد له سبحانه والطاعة، وإيثار الله ورسوله على ما سواه والصبر لأمره، كل ذلك كان مفتاحاً لأول الفتح والمغانم وهو فتح خيبر.

3 - إن الله تعالى قادرٌ على أن يصرف الأعداء عن أوليائه، وإن كثر الأعداء وتنوعوا وتحزَّبوا، حيث كفَّ الأعداء آية من آيات الله تعالى.

4 - إن الله تعالى يصنع لعباده نصراً وفتحاً عندما يعلم ما في قلوبهم من صدق العزم للجهاد في سبيل الله وإخلاص العبودية لله وحده، بل ويتولى سبحانه حراستهم وحفظهم وإعانتهم.

5 - إن تحرك المسلمين تجاه عدوهم مجاهدين صابرين صادقين مخلصين محتسبين يجعل جهادهم مباركاً ولو كانوا قلة، بل ويعطيهم من الفتح والنصر والغنيمة من حيث لم يحتسبوا!

6 - تحركات المجاهدين الصادقين لاسترجاع أرضهم ومقدساتهم المحتلة والمسلوبة سيبارك الله فيها وإن كانت محدودة، كما كانت تحركات المسلمين الجهادية قبل فتح خيبر، فقد بارك الله فيها وعظّمها حتى غدتْ فتحاً مبيناً.

«وهذه عادةُ الله سبحانه في الأمور العظام التي يقضيها قدراً وشرعاً، أن يُوطِّئَ لها بين يديها مقدمات وتوطئات، تُؤذِنُ بها، وتدُلُّ عليها»[2].

فأبشروا إخواني المجاهدين في فلسطين بالفتح المبين القادم من عند الله العزيز القهار.

ولنا وقفاتنا القادمة بإذن الله تعالى في ظلال خيبر.

والحمد لله رب العالمين.

الهامشان

(1) ابن القيم الجوزية، زاد المعاد.

(2) المرجع السابق.

السلام العالمي..
لن يتحقق إلا بالإسلام

ما فتئ العالم المعاصر يدندن حول السلام العالمي وسُبل تحقيقه؛ فأسّس من أجل ذلك الهيئات، وأقام المؤتمرات والندوات، ودبّج الكتب والمطولات، حتى إذا جئنا على أرض الواقع رأينا سراباً يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه وجد أكاذيب بعضها فوق بعض.

ولكن هذا العالم تغافل عن حقائق أثبتها الواقع والتاريخ والمنطق والنص؛ وهي أن الدين الوحيد الذي سبق الجميع بإرساء قواعد السلام هو الإسلام؛ فبالإضافة إلى أن الاسمين مشتقان من جذر لغوي واحد؛ فقد وضعت شريعة الإسلام من القواعد والتشريعات ما يجعل العالم يعيش آمناً مطمئناً يأتيه رزقه رغداً من كل مكان، لكنه كفر برسالة ربه -بل واتهم دينه بالإرهاب- فأذاقه الله ويلات الحروب والدمار.

وإزاء الافتئات على الإسلام في هذا المجال، كان لا بد من وضع الأمور في نصابها، وذكر الحقائق البيّنات على أن هذا الدين هو دين السلام؛ فحتى ما شرعه من قتال وجهاد فهو في حقيقته لإرساء السلام والأمن.. فكان هذا الملف الذي نعرض فيه الموضوعات التالية:

- مفهوم «السلام».. مقاربة إسلامية معاصرة.
- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟
- بالأرقام.. من يصنع الإرهاب؟!
- أخلاقيات الفتح الإسلامي.. قراءة في «الوثيقة العمرية».
- الأسرة المسلمة والسلام العالمي.
- السلم العالمي.. من مقاصد التشريع الإسلامي.■

مفهوم «السلام».. مقاربة إسلامية معاصرة

أ.د. حسان عبدالله
أستاذ أصول التربية المساعد بجامعة دمياط- مصر

يتم استخدام مفهوم الإسلام في المشهد الفكري العالمي المعاصر لتوطين حالات من الاستعمار والهيمنة غير المشروعة، وترادف ذلك مع استخدام لفظة «الإرهاب» -كمضادة للسلام- مع الأفكار التي تندد بالهيمنة وتقاوم طغيانها.

ونحاول في هذه المقالة المختصرة عمل مقاربة مع مفهوم السلام في الرؤية الإسلامية، وفي ضوء السياقات الدولية المعاصرة.

فكرة السلام من الأفكار التي شغلت الإنسان في العصر الحديث، ولا سيما الإنسان الأوروبي الذي شهدت مجتمعاته حروباً داخلية طاحنة انتهت بحربين كبيرتين كبدتا البشرية أكبر خسائر في تاريخ الحروب والصراعات منذ نشأة الخليقة، هما الحرب العالمية الأولى والثانية، واللتان أودتا بأرواح ما يقرب من 200 مليون إنسان.

إن فكرة الحرب المقابلة لفكرة السلام تقوم بالأساس على مبدئية الصراع في العلاقات الدولية التي تتبناها الحضارة الغربية منذ مطلع نهضتها الحديثة، التي دشن لها فلاسفة ومفكرو نهايات العصور الوسطى الأوروبية، وفيما يتعلق تحديداً بفلسفة العلاقات الدولية الغربية، فإنها تأثرت تأثراً كبيراً بفلسفة توماس هوبز (1588–1679م) ومقولاته في بناء الدولة والعلاقات الإنسانية الداخلية والخارجية وفلسفته الأخلاقية، وأهم مقولاتها أن «الإنسان لا اجتماعي بطبعه، والإنسان ذئب أخيه الإنسان، وأن القوة والغدر فضيلتان في مجال العلاقات بين الدول، وأن الحرب بين الدول هي الأصل، وأن الناس لا يمكنهم أن يتعاونوا كما يتعاون النمل والنحل، وأن العقد بين الناس لا يكون إلا بالسيف، فالعهد بدون سيف ليس إلا كلمات..»[1].

كذلك -أيضاً- تأثر الفكر الغربي بالفلسفة «الداروينية» التي لا ترى الإنسان إلا حيواناً؛ أي طين؛ لذلك ظهرت مفاهيم القوة والغلبة والقهر في مجال العلاقات الإنسانية الغربية، ثم جاء التبشير بنهاية العالم على يد فرانسيس فوكاياما (1989م)، ثم صدام الحضارات المهد لمرحلة الاستعمار الغربي الثالث للعالم.

منطق الحروب الأوروبية

هذه التصورات والمقولات الموجزة التي تزخر بها كتابات الفلاسفة الغربيين المؤسسين للمدرسة الوضعية، تفسر لنا بوضوح منطق الحروب التي خاضتها أوروبا ضد بعضها بعضاً، أولاً مثل حرب الثلاثين عاماً (1618 – 1648م) وحروب أخرى، إلى أن انتقلت أوروبا بحروبها خارج القارة من خلال عصر الاستعمار الغربي للعالم، التي انطلقت من مفاهيم «حق القوة» و«البقاء للأقوى»؛ وهو ما أدى فقط إلى شهود العالم في الفترة من عام 1945 – 1989م حوالي 138 حرباً أسفرت عن مقتل 23 مليوناً من البشر[2].

ومن أقدم الكتابات في العصر الحديث حول فكرة السلام كتاب «مشروع للسلام الدائم» – 1795م، لإيمانويل كانط، وقد ظهرت هذه الدعوة في نهاية القرن الثامن عشر، بعد أن عانت أوروبا من ويلات الحروب الداخلية، وقد أكد كانط الويلات الكبيرة التي أصابت البشر جراء الحروب، ومن ثم طرح فكرته المتمثلة في دعوته حول إحلال سلام دائم بين الدول، وطرح هذا المشروع في صورة مواد/ بنود تضمنت عدة مواد تمهيدية لتحقيق سلام دائم بين الدول، من أهمها إقامة المعاهدات التي تؤطر لديمومة السلام بين الدول، واحترام سيادة الدول واستقلالها

فكرة الحرب المقابلة للسلام تقوم على مبدئية الصراع بالعلاقات الدولية التي تتبناها الحضارة الغربية

الفكر الغربي تأثر بالفلسفة «الداروينية» التي لا ترى الإنسان إلا حيواناً لذلك ظهرت مفاهيم القوة والغلبة

مهما كانت صغيرة الحجم، والدعوة إلى إلغاء الجيوش على مر الزمن وتوفير نفقاتها لتنمية الشعوب، ودعا -أيضاً- إلى إقامة تحالفات بين الشعوب لضمان تآلفها وانسجامها وعدم قيام الحرب بينها.

وفي ضوء إحساس المنظمة الدولية (الأمم المتحدة) -التي تأسست بغرض نشر السلام وتخفيف حدة الصراعات وتقليل فرص الحروب- بتعاظم خطر الحروب من ناحية، وقناعتها بأن التغيير الحقيقي لمفهومي الحرب والسلام هو السبيل الأكثر تأثيراً في تحقيق أهدافها التي أنشئت من أجلها؛ فاتجهت إلى الاهتمام بالتربية والتعليم كميدان مهم لمجالات عملها من أجل السلام، وانطلقت في هذا الاهتمام من منطلقين رئيسين:

الأول: ما يعانيه العالم من ويلات الحروب والصراعات، حيث «يبزغ العالم حالياً من أكثر القرون دموية وحروباً في التاريخ[3].

والثاني: منطلق تربوي يهدف إلى تغيير عقلية الإنسان المعاصر، وتحويلها من عقلية تقبل الحرب كحل للصراعات إلى عقلية تتبنى خيار السلام والفرص المتاحة للوصول إليه، ويقوم هذا المنطلق على مقولة مفادها «لما كانت الحروب تتولد في عقول البشر، ففي عقولهم يجب أن تُبنى حصون السلام»[4].

وجاء في الدورة الثانية والخمسين للجمعية العامة للأمم المتحدة (1997م) طلب إدراج بند تكميلي في جدول أعمال الدورة تحت عنوان «نحو ثقافة للسلام»، جاء في المذكرة ما يلي: «ويتطلب بناء ثقافة للسلام عملاً تربوياً وتثقيفياً واجتماعياً ومدنياً شاملاً، يتاح خلاله لكل شخص أن يتعلم ويعطي ويشارك، وإستراتيجية عالمية متفتحة الذهن تتوخى هدفاً محدداً، ألا وهو جعل ثقافة السلام لا تنفصم عن الثقافة بذاتها، مع ترسيخها في أفئدة وعقول الناس، وليس السلام هو غياب الخلافات أو النزاعات فحسب، وإنما هو عملية إيجابية ديناميكية وتشاركية مرتبطة بشكل لا ينفصم بتحقيق الديمقراطية والعدالة والتنمية للجميع، وبما يكفل احترام الاختلافات وتشجيع الحوار وتحويل النزاعات بصفة مستمرة بفضل وسائل اللاعنف إلى سبل جديدة للتعامل[5].

ويشير سامي جرجس إلى أن ثقافة السلام -وهي ضد ثقافة الحرب- ينبغي أن

الأمم المتحدة سعت لتحويل عقلية الإنسان المعاصر من تقبل الحرب حلاً للصراعات لتتبنى السلام

اختزال رؤية الإسلام للعنف في الحرب أو السلام بصورة تقليدية هو افتئات على طبيعة الإسلام كنظام حياة متكامل

تحتوي على عدة أبعاد، منها[6]:

- التعددية؛ لأن تجاهلها أدى إلى أشكال متعددة من الصراعات والحروب.
- إقرار الأمان المتبادل بين أعضاء المجتمع الدولي عبر خلق نوع من التضامن والإحساس بهوية واحدة تتعلق بالجنس البشري.
- تبني قيم التسامح واحترام الآخر، والاختلافات الموجودة بين البشر.
- التواصل والتعارف بين البشر.
- إزكاء المشاعر والعلاقات الحميمة بين الأفراد على كافة المستويات بدءاً من الأسرة ومروراً بالمجتمع والحيز الإقليمي وصولاً إلى المجتمع العالمي.

السلام في الرؤية الإسلامية

إن استقراء مفهوم «السلام» في المصادر الإسلامية -سواء ما يتصل منها بالفضاء اللغوي أو المعجمي أو القرآني للمفهوم- يمدنا بمجموعة من المعاني والمضامين يمكن من خلالها استخراج مفهوم تربوي عربي للسلام؛ حيث ذُكر السلام في حوالي 49 موضعاً من القرآن الكريم، بالإضافة إلى مشتقاته التي منها: سلم، وأسلم، ومسلم، وغيرها من الألفاظ التي تحمل معنى «السلام»، والاستقراء المبدئي والعام يوضح لنا المعاني التالية لجذر مفهوم السلام -في هذه الفضاءات السابقة- وهي: اسم من أسماء الله الحسنى، فهو جل شأنه «السلام»، البراءة من العيوب والآفات الظاهرة والباطنة، البقاء في الجنة، الإسلام، السلم، التصالح، الوقاية، التحية، السداد من القول[7].

هذه الشبكة من المعاني يمكن من خلالها تحديد أبعاد مفهوم «السلام» الذي يتضمن -بحسب الرؤية العربية الإسلامية- عدة دوائر، هي:

1 - السلام مع النفس (السلام الداخلي).
2 - السلام مع المجتمع المحيط (الأسرة، المجتمع).
3 - السلام مع العالم.

إن بناء مفهوم مقارب لـ«التربية من أجل السلام» في هذا المدخل يتطلب الوقوف على عدة أبعاد معرفية تربوية، هي:

1 - الرؤية الكلية الإسلامية ومكانة الإنسان والعالَم فيها.
2 - الطبيعة الإنسانية -كما فصلها الإسلام- ومكوناتها الأساسية (الروح والجسد)، (النفس، الروح، العقل) وتشكلات فطرتها الأصلية (الخير والشر).
3 - القواعد والمبادئ الحاكمة للسنن في الكون وفي الإنسان والتاريخ والمجتمعات.
4 - القيم الأساسية في الإسلام والمقاصد العامة للشريعة.
5 - النظرية الاجتماعية الإسلامية، ومبادئها الحاكمة في السنن والأنفس.

وتشير إحدى الدراسات إلى أن مفهوم السلام يلزم تفكيكاً لكل من الوحدات المفهومية التي يتصل بها لتكون على النحو التالي[8]:

1 - السلام الفردي والأسري:
أ- السلام الداخلي للطفل الفرد.
ب- السلام داخل الأسرة الصغيرة.
جـ- السلام داخل الأسرة الممتدة.

2 - السلام المجتمعي:
أ- السلام مع الجيرة.
ب- السلام في المدرسة أو العمل.
جـ- السلام مع المجتمع الأوسع.

3 - السلام ما فوق المجتمعي:
أ- الوطني (العين والمجرد).
ب- الإقليمي (المحسوس والمجرد).
جـ- العالمي (الدولي والإنساني).

ويُعد بناء مفهوم «السلام» في الإسلام -في الوقت الحاضر- ضرورة منهجية؛ «ذلك لأن اختزال رؤية الإسلام للعنف في مسألة الحرب أو السلام بصورة تقليدية هو افتئات على طبيعة الإسلام كنظام حياة متكامل يقوم على رؤية كلية للإنسان والعالم؛ فهي رؤية تستدعي أموراً أخرى غير الحرب والسلام (باعتبارها مجرد حالات أو أدوات) مثل الرؤية للإنسان والعمران والتعدد

www.mugtama.com

والتنوع والاختلاف والتعارف والتواصل، كما تستدعي مبادئ وقواعد أو سنناً تتصل بالإنسان وعلاقته بالكون وبالآخر وهي تنبع من صميم الرؤية لعلاقة الإنسان بالله»[9].

وتطرح الأكاديمية د. نادية مصطفى مقاربة لمفهوم إسلامي للسلام وهو مفهوم «السلام الحضاري»، الذي تناقشه عبر ثنائية «السلام والعنف» في ضوء الأبعاد المعرفية التالية:

1 – إن السلام والحرب ليسا نقيضين أو بديلين، ولكن السلام والحرب حالتان يعرفهما بدرجاتهما المختلفة الإنسان والكيانات الاجتماعية.

2 – السلام ليس مثالية فردية أو حالة انعزالية عن المشكلات السياسية والمجتمعية القائمة، ولا يتحقق لدى الإنسان بمفرده، ولكن السلام حالة واقعية ومبادرة وحركة وتفاعل تقتضي إدارة نوازع الفرد بين المثالية والواقعية، ولا يكفي أن تبدأ من الإنسان فقط وتتوقف دون ذلك.

3 – السلام ليس وسيلة للاستقرار (بمعنى الجمود) وعدم التغيير الجذري، ولكن السلام غاية لا تتحقق إلا بتوافر شروطها وخاصة العدالة والحرية، فالسلام نتيجة وليس شرطاً مسبقاً.

4 – العنف ليس نقيض السلام في كل الحالات، ولكن بعض أنواع العنف تكون سبيلاً للسلام العادل، كما في حالة المقاومة لكل أنواع الظلم.

5 – السلام لا يتحقق باستبعاد الدين باعتباره مصدراً للصراعات والنزاعات، ولكن المشترك بين الأديان يمثل منظومة قيمية قادرة على تحقيق السلام، وذلك إذا أحسن كل طرف فهْمَ دينه.

6 – السلام لا يتحقق فقط من خلال حوار الأديان بين الملتزمين والمتدينين تهدئة للتوترات الدينية بينهم، ولكن يتحقق السلام من خلال تحفيز دور الدين وقِيَمه في حل مشكلات الإنسان والمجتمع والوطن والعالم وعلى نحو يتطلب ما هو أوسع من مجرد الحوار بين أبناء ديانتين بانفصال عن مجتمعهم وسياسة دولهم.

7 – السلام يبدأ من عقل الفرد وقلبه، ولذا فهو مسؤولية الإنسان ابتداءً، ولكن السلام وإن كان ينطلق من الإنسان، إلا أنه لا يتحقق ويكتمل إلا بجهد من أعلى أيضاً، فهو

ليس مجرد منتج إنساني فردي، ولكنه يحتاج إلى منظومة متكاملة.

8 – السلام ليس أداة من أجل الرخاء والرفاهية (الجزرة) بغض النظر عن أمور أخرى قيمية (مثل: الحرية، والكرامة، والهوية، والعزة)؛ وذلك لأن السلام هو نتيجة للعدالة وحق تقرير المصير والحفاظ على الهويات والخصوصيات المنفتحة والمتعارفة على بعضها بعضاً.

9 – السلام لا يتحقق بضمان حقوق الثقافات الفرعية ولو على حساب تماسك الأوطان واختراقها من الخارج، ولكن يتحقق باحترام هذه الحقوق وباحترام الثقافة السائدة أيضاً.

10 – العنف أو السلام ليسا خصائص هيكلية أو كامنة في ثقافات أو شعوب دون أخرى، ولذا فإن ثقافة العنف، مثل ثقافة السلام، تنتشر بأشكال ودرجات مختلفة لدى كافة الشعوب.

هذه مقاربة لمفهوم السلام في الرؤية الإسلامية تحتاج إلى مزيد من التحليل لبيان المفردات الرئيسة لمفهوم السلام، والمجالات الأساسية، والقيم الفاعلة، ووسائل التحقيق في الواقع الاجتماعي والإنساني.■

الهوامش

(1) برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة: محمد فتحي الشنيطي، ج3، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب،2011، ص 79.

(2) لجنة إدارة شؤون المجتمع العالمي: جيران في عالم واحد، الكويت، عالم المعرفة، عدد (201)، 1995، ص 34.

(3) نداء لاهاي من أجل السلام: مناحي تربية السلام وأسسها المنطقية، جنيف، مكتب السلام الدولي، 2000، ص31.

(4) منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة: النصوص الأساسية، باريس، اليونسكو، 2014، ص7.

(5) نادية مصطفى: «إشكاليات القراءة في مفهوم ثقافة السلام وخرائط إعادة بنائه من منظور حضاري»، ص9

(6) سعد جرجس، سامي. ثقافة السلام، سلسلة مفاهيم، القاهرة، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والإستراتيجية، 2009، ص 8 – 10 (باختصار)

(7) تتبعنا هذه المعاني في:

– جمال أبو الفضل ابن منظور: لسان العرب، مج 6، مرجع سابق، ص342 – 343.

– أبو بكر أحمد البيهقي: كتاب الأسماء والصفات، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت، ص53

– الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، دمشق، دار القلم، 1992، ص 421: 224.

– محمد فؤاد عبدالباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، القاهرة، دار الحديث، مادة (سلم) 1996، ص436 439–.

(8) أحمد عبدالله: «مقترحات أولية للشق البحثي في مشروع التربية من أجل السلام»، في: لقاء الخبراء التربية من أجل السلام، لقاء الخبراء التربية من أجل السلام، القاهرة، مركز مطبوعات اليونسكو، 1993، ص 40.

(9) نادية مصطفى: «إشكاليات القراءة في مفهوم ثقافة السلام وخرائط إعادة بنائه من منظور حضاري» ورقة مقدمة إلى اللقاء الفكري: معاً نحو بناء ثقافة السلام، المنيا، الهيئة القبطية الإنجيلية، 2008، ص 15.

قراءة عصرية بعد أكثر من 60 عاماً من تأليف الكتاب..

ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟

لماذا نُعيد طرح السؤال؟

عرض: د. محمود المنير

بيانات الكتاب:
العنوان: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟
المؤلف: العلامة أبو الحسن علي الندوي.
الناشر: دار الإيمان، المنصورة.
الطبعة: العشرون (طبعة شرعية مزيدة ومنقحة).
عدد صفحات الكتاب: 262 صفحة.

نبذة عن المؤلف:

الشيخ العلامة أبو الحسن الندوي، مفكر إسلامي وداعية هندي ولد بالهند عام 1333هـ/ 1914م، وتوفي في 23 رمضان 1420هـ/ 31 ديسمبر 1999م، ملأ الدنيا وشغل الناس، وتتلمذ على فكره ومؤلفاته الكثير من الأجيال من الدعاة، والده الشريف العلامة عبدالحي بن فخر الدين بن عبد العلي، الذي ألَّف كتباً كثيرة، أهمها نزهة الخاطرئ في 8 مجلدات.

وبالرغم من أن الشيخ لم ينشأ في بلاد العرب، فإنه تكلم العربية وأجادها وكتب بها، وأسمعت كلماته العرب والعجم، وأثّرت دعوته السمحة في الأمة بأسرها؛ لقوة عاطفته وربانيته وإيمانه، قال عنه د. يوسف القرضاوي: «كان الشيخ الندويّ واحداً من هؤلاء الأفذاذ، الذين بعثهم الله لهذه الأمة؛ ليجددوا لها دينها، ويعيدوا إليها يقينها، وينهضوا بها لتؤدي رسالتها».

نال العلامة الندوي عشرات الجوائز، وتمّ تكريمه في الكثير من المحافل العلمية، واختير عضواً في عشرات المجامع العلمية، مثل: رابطة الجامعات الإسلامية، والمجمع العلمي العربي الهندي، ومجمع اللغة العربية الأردني وغيرها، وتمّ اختياره لجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام 1980م.

وهذه السطور وعشرات أمثالها لا تفي بالحديث عن الشيخ، رحمه الله، وعلمه وأثره وجهوده لخدمة الإسلام والمسلمين، ومؤلفاته التي يمكن الحصول عليها في مظانها العلمية، وهي جمة وكثيرة.

الكتاب ينطلق من أن عقيدة الإسلام تبعث في المؤمن إحساس العزة في غير كِبْر والاطمئنان في غير تواكل

هذا الكتاب:

بدأ العلامة أبو الحسن الندوي في تأليف هذا الكتاب عام 1944م، وأكمله عام 1947م، وقد طُبعت ترجمتُه الأردية في الهند قبل رحلته الأولى للحج عام 1947م.

وينطلق هذا الكتاب من أن الإسلام عقيدة من أخص خصائصها أنها تبعث في روح المؤمن بها إحساس العزة من غير كِبْر وروح الثقة في غير اعتزاز، وشعور الاطمئنان في غير تواكل، وأنها تشعر المسلمين بالتبعة الإنسانية الملقاة على كواهلهم، تبعة هداية البشرية وتعبيدها لله رب العالمين، وتبعة القيادة القائمة على الخيرية المستحقة لها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الفكرة المحورية:

يطرح العلامة الندوي في كتابه فكرة محورية، وهي أن انحطاط المسلمين أولاً،

وفشلهم وانعزالهم عن قيادة الأمم بعد، وانسحابهم من ميدان الحياة والعمل أخيراً، لم يكن حادثاً من نوع ما وقع وتكرر في التاريخ من انحطاط الشعوب والأمم، بل هي مأساة إنسانية عامة لم يشهد التاريخ أتعس ولا أعم منها، والعالم لم يحسب إلى الآن الحساب الصحيح لهذا الحادث، ولم يقدره قدره، وليس عنده المقياس الصحيح لشقائه وحرمانه.

لماذا نعيد طرح السؤال؟

سؤال مهم سيطرأ على خاطر الكثير من القرَّاء: لماذا نعيد قراءة هذا الكتاب مجدداً بعد مرور قرابة 60 عاماً على طرح السؤال الذي طرحه الندوي؟

الإجابة تحمل الكثير من الألم والأمل؛ فالحال التي وصلت لها الأمة بل العالم بأسره تستدعي طرح السؤال، ولا سيما أن الجميع خسر بغياب الإسلام عن قمرة قيادة العالم، حيث اجتاحت العالم المادية الجارفة والرأسمالية المتوحشة، وانتشرت الصراعات والحروب الأهلية والعرقية، وبعد أن فقدت الأمة الإسلامية والبلاد العربية الوعي فلم تعد تعرف صديقها من عدوها، ولا تزال تلدغ من جحر واحد ألف مرة ولا تَعتبر بالحوادث والتجارب، وهي ضعيفة الذاكرة سريعة النسيان، وبالمقابل نجد أن الأمم الأوروبية -رغم إفلاسها في الروح والأخلاق وعيوبها الكثيرة التي عرضها الندوي في هذا الكتاب- قوية الوعي المدني والسياسي، بلغت سن الرشد فسادت العالم عندما تخلت عن النزاعات والحروب فيما بينها.

نعيد طرح السؤال لأننا ومن خلال ما يقدمه العلامة الندوي في كتابه ومقارنته بواقع العالم الآن نشعر بمدى حاجة البشرية الملحة إلى تغيير القيادة الإنسانية، وردها إلى الهدي الذي انبثق من الإسلام ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الجور إلى العدل، ومن الجاهلية إلى المعرفة، ومن صدام الحضارات إلى التعاون والتدافع السنني الذي أمر الله تعالى به.

رحلة عطاء ممتدة:

يتجول بنا العلامة الندوي في رحلة ممتدة يرسم فيها صورة صغيرة لهذا العالم

لا يستطيع دين من الأديان ومدنية من المدنيات بالعالم أن تدعي أنها لم تتأثر بالإسلام والمسلمين

قبل أن تشرق عليه أنوار الإسلام الأولى، وكيف سيطرت عليه روح الجاهلية، فإذا فرغ من ذلك، بدأ يعرض دور الإسلام في حياة البشرية؛ دوره الحضاري والريادي في تخليص البشرية الحائرة والتائهة من الوهم والخرافة، ومن العبودية والرق ودوره في تخليص المجتمع الإنساني من الظلم والطغيان، ومن فوارق الطبقات، واستبداد الحكام، ودوره في بناء العالم على أسس قيمية عظيمة مثل العفة والطهارة والحرية والتجدد ومن المعرفة واليقين والثقة والإيمان.

أسباب الانحطاط:

ثم يستعرض العلامة الندوي أسباب انحطاط المسلمين (الروحية والمادية)، ويصف ما حل بالمسلمين أنفسهم عندما تخلوا عن مبادئ دينهم وتعاليمه، ويرسم معالم خط الانحدار المأساوي الذي لحق بالأمة حتى أودى بها إلى هذه الحال من التردي الذي نراه ماثلاً للعيان في كل المجالات.

ويشير إلى أن التاريخ شهد بأن كل أمة أصيب رجالها في رجولتهم وغيرتهم، ونساؤها في أنوثتهن وأمومتهن، وطغى فيهن التبرج، ومزاحمة الرجال في كل شيء، والزهد في الحياة المنزلية، وحبب إليهن العقم، أفل نجمها وكسفت شمسها، فأصبحت أثراً بعد عين، وهذه كانت عاقبة اليونان والرومان والفرس، وإن أوروبا لفي طريقها إلى هذه العاقبة، وتلك سُنة من سنن الله في نهضة وانحدار الأمم والحضارات.

علة العالم الإسلامي:

يرى العلامة الندوي، رحمه الله، أن علة علل العالم الإسلامي اليوم هي الرضا بالحياة الدنيا والاطمئنان لها، والارتياح إلى الأوضاع الفاسدة، والتبذير الزائد في الحياة، ولكن بتأثير القرآن والسيرة النبوية -إن وجدا إلى القلب سبيلاً- يحدث صراع بين الإيمان والنفاق واليقين والشك، بين المنافع العاجلة والدار الآخرة، وبين راحة الجسم ونعيم القلب، وبين حياة البطولة وموت الشهادة، صراع أحدثه كل نبي في وقته، حينئذ يقوم في كل ناحية من نواحي العالم الإسلامي «فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى»، هنالك تفوح روائح الجنة، وتهب نفحات القرن الأول، ويولد للإسلام عالم جديد لا يشبه العالم القديم في شيء.

من مؤلفاته:

وللعلامة الندوي قرابة 128 كتاباً أثرى بها المكتبة الإسلامية، منها:

- الإنسانية تنتظركم أيها العرب.
- ردة ولا أبا بكر لها.
- رجال الفكر والدعوة في الإسلام.
- مستقبل الأمة العربية الإسلامية بعد حرب الخليج.
- اسمعي يا مصر.
- مسؤولية العلماء في الأوضاع المتغيرة.
- دور الأمة الإسلامية في إنقاذ البشرية وإسعادها.
- دور الإسلام في نهضة الشعوب.
- أزمة هذا العصر الحقيقية.
- الإسلام وأثره في الحضارة وفضله على الإنسانية.
- الإسلام في عالم متغير.
- نحو تكوين إسلامي جديد.
- المأساة الأخيرة في العالم العربي.
- مسؤولية الأمة الإسلامية أمام الأمم والعالم.■

www.mugtama.com

الجاهلية ليست فترة زمنية:

لعل مما يلفت النظر تعبير العلامة الندوي دائماً عن النكسة والارتكاسة التي حاقت بالبشرية كلها منذ أن عجزَ المسلمون عن القيادة بكلمة الجاهلية، وهو تعبير دقيق الدلالة على رؤية الندوي، رحمه الله، للفارق بين روح الإسلام والمادية التي سيطرت على العالم قبله وتسيطر عليه اليوم بعد تخلي الإسلام عن القيادة؛ «إنها الجاهلية في طبيعتها الأصلية؛ فالجاهلية ليست فترة من الزمن محدودة ولكنها طابع روحي وعقلي معين».

كليات الروح الإسلامي:

لقد تميز كتاب العلامة الندوي الذي نحن بصدده بفهم عميق لكليات الروح الإسلامية في محيطها الشامل، ومن هنا يعد نموذجاً للبحث التاريخي، فالأوروبيون يؤرخون للعالم كله من زاوية النظر الغربية متأثرين بثقافتهم المادية وفلسفتهم، ثم وقعوا في أخطاء نتيجة إغفالهم لقيم كثيرة في هذه الحياة لا يستقيم تاريخ الحياة ولا يصح تفسير الحوادث والنتائج دونها.

والباحث المتحمس لروح القيادة العالمية لا ينسى بجوار الاستعداد الروحي، أن يلح على الاستعداد الصناعي والحربي، والتنظيم العلمي الجديد، وأن يتحدث عن الاستقلال التجاري المالي، لنرى بعد ذلك نظرة شمولية لكيفية استعادة الإسلام دوره القيادي.

يرى العلامة الندوي أن الحل الوحيد هو تحول القيادة العالمية وانتقال دفة الحياة من اليد الأثيمة الخرقاء التي أساءت استعمالها إلى يد أخرى بريئة حاذقة.. إن التحول المؤثر الواضح هو تحول القيادة من أوروبا -بالمعنى الواسع الذي يشمل بريطانيا وأمريكا وروسيا ومن كان على شاكلتها من الأمم الآسيوية والشرقية- التي تقودها المادية والجاهلية، إلى العالم الإسلامي الذي رسم سيدنا صلى الله عليه وسلم برسالته الخالدة ودينه الحكيم معالم قيادته الراشدة.

ويشير إلى أن الزعامة الإسلامية تقتضي صفات دقيقة، واسعة جداً، نستطيع أن نجمعها في كلمتين؛ «الجهاد»، و«الاجتهاد».

عداوة الشعوب والأمم لا تنصرف حتى يكون لها عدو من غيرها تشترك في كرهه والمخافة منه

كلما تقدمت أوروبا في القوة ازداد القطار البشري سرعة إلى الفوضى والقلق الاقتصادي والإفلاس الروحي

خلاصات الأفكار:

- كل داء من أدواء المجتمع الإنساني، وكل عيب من عيوب الجيل الحاضر، يتطلب إصلاحه حياة كاملة، ويستغرق عمر إنسان بطوله، وقد يستغرق أعمار طائفة من المصلحين ولا يزول، فلا تهجره بمجرد الدعاية والنشر والكتب والخطب، لا تهجره إلا بتغيير نفس عميق، وإذا أرغمت على تركه بغير هذا التغيير تسللت إلى غيره من أنواع الجريمة.

- بعث الإيمان بالآخرة في قلوب المسلمين شجاعة خارقة للعادة، وحنيناً غريباً إلى الجنة واستهانة نادرة بالحياة فدانت لهم طوعاً وكرهاً.

- توافرت في المسلمين بالصدر الأول الصفات التي أهَّلتهم لقيادة البشرية، وهي: أنهم أصحاب كتاب منزل وشريعة إلهية، فلا يقننون ولا يشترعون من عند أنفسهم؛ لأن ذلك منبع الجهل والخطأ والظلم، وأنهم لم يتولوا الحكم والقيادة بغير تربية خلقية وتزكية نفس، ولم يكونوا خدمة جنس، ورسل شعب أو وطن.. إنما قاموا ليخرجوا الناس من عبادة العباد جميعاً إلى عبادة الله وحده، وأنهم أدركوا أن الإنسان جسم وروح، وقلب وعقل وعواطف وجوارح، ولا يمكن أن توجد مدنية صالحة إلا بذلك، فجمعوا ذلك كله.

الأمة الإسلامية لا تنهض إلا بالتحرر من سطوة الغرب والرجوع إلى تعاليم الإسلام

ما زال الوعي الذي أوجده الوحي الإسلامي راسخاً في وجدان الأمة يحتاج من يجدده

- من سوء حظ المسلمين -فضلاً عن سوء حظ الأتراك- أخذ الترك في الانحطاط ودب إليهم داء الأمم من قبلهم: الحسد والبغضاء واستبداد الملوك وجورهم وسوء تربيتهم وفساد أخلاقهم وخيانة الأمراء وغشهم للأمة وإخلاد الشعب إلى الدعة والراحة.. وكان شر ما أصيبوا به الجمود في العلم وفي صناعة الحرب وتنظيم الجيوش.

- الذي يُوجِد الاعتدال ويخفض من المادية الجامحة ويجعل منها حياة معتدلة هو النظام الروحي الديني الخلقي الحكيم الذي يوافق الفطرة الإنسانية الصحيحة، وهكذا فعل الإسلام، فقد صرف شجاعة العرب من المنافسات القبلية والتقاتل إلى الجهاد في سبيل الله، وصرف تبذيرهم وسماحتهم إلى الإنفاق في سبيل الله.

- لا تنصرف عداوة الشعوب والأمم بعضها لبعض حتى يكون لها عدو من غيرها تشترك في عداوته وكرهه والمخافة منه، وتتعاون في الحرب معه.

- كلما تقدمت أوروبا في القوة والسرعة، وازدادت وسائلها ووسائطها؛ ازداد هذا القطار البشري سرعة إلى الغاية الجاهلية؛ حيث النار والدمار والاضطراب والتناحر والفوضى الاجتماعية والانحطاط الخلقي والقلق الاقتصادي والإفلاس الروحي.

- إذا أراد العالم الإسلامي أن يستأنف حياته، ويتحرر من رق غيره وإذا كان يطمح إلى القيادة، فلا بد إذن من الاستقلال التعليمي، بل لا بد من الزعامة العلمية وما هي بالأمر الهين، إنها تحتاج إلى تفكير عميق، وحركة التدوين والتأليف الواسعة، يضعون منهاجاً تعليمياً يجمع بين محكمات الكتاب والسُّنة وحقائق الدين التي لا تتبدل، والعلوم العصرية النافعة والتجربة والاختبار، ويدونون العلوم العصرية على أساس الإسلام وبروح الإسلام.■

بالأرقام.. من يصنع الإرهاب؟!

علا سليمان

حاول الإعلام الغربي منذ عقود مواصلة نشر الأكاذيب التاريخية التي استند إليها المستعمر الأوروبي ودعاة التبشير الصليبي بأن الإسلام دين يحض على الإرهاب، وأن أتباعه دمويون بالفطرة.

وظلت تلك الأكاذيب تتردد في ظل غياب يد إعلامية موازية تستطيع دحضها، وتدرأ تلك الشبهات، اللهم إلا بعض الجهود الفردية حتى وإن قامت بها مؤسسات، لكنها لا تستند إلى مشاريع كبرى، تتمأسس في ظل إستراتيجية طويلة الأمد.

ولما كانت «المجتمع» معنية في جزء من مهمتها بالإسهام في تصحيح تلك الصورة، فقد ارتأت أن تجعل لغة الأرقام -باعتبارها أصدق لغة- السلاح الأهم في إظهار الحقائق، ودرء تلك الشبهات، وتوضيح ما علق ببعض الأذهان من صورة مقلوبة، لتستبين العقول من هم دعاة السلام الحقيقيون، ومن هم العنصريون الذين ولغوا في دماء وحقوق غيرهم.

عدد ضحايا الحرب العالمية الأولى نحو 20 مليوناً في 5 سنوات والثانية أكثر من 58 مليوناً في 6 سنوات

حينما نتحدث عن ملايين الضحايا التي أفرزتها حروب بين البشر، سيقفز إلى الأذهان بكل تأكيد الحربان العالميتان الأولى والثانية، فقد وصل عدد ضحايا الأولى نحو 20 مليون ضحية، والثانية تراوح عدد ضحاياها ما بين 60 – 85 مليوناً، واستمرت 6 سنوات كاملة ما بين عامي 1939 – 1945م.

ومنها كذلك تلك الحروب التي قادها قديماً المغول، وتراوح عدد الضحايا فيها، حسب المصادر التاريخية، ما بين 40 – 70 مليوناً، وكان هذا خلال الفترة بين عامي 1206 – 1324م.

وفي الصين سقط ملايين من الضحايا في عدة حروب، منها حرب أطلق عليها اسم «تمرد تايبينغ»، تراوح عدد ضحاياها ما بين 20 – 100 مليون، وفيها كذلك، منذ أكثر من 1700 عام ما أطلق عليه «حرب الممالك الثلاث» التي تراوح عدد ضحاياها ما بين 36 – 40 مليوناً، بين عامي 184 – 280م.

أيضاً فيها غزو سلالة «تشينغ» لسلالة «مينغ» بالصين، وبلغ عدد ضحايا هذا الغزو 25 مليوناً، وكان ذلك خلال الفترة بين عامي 1616 – 1662م، ثم تمرد «أن لوشان» الذي تراوح عدد ضحاياه ما بين 13 – 36 مليوناً، وذلك خلال الفترة ما بين عامي 755 – 763م.

ثم يأتي «غزو الأمريكتين» على يد المستعمر الأوروبي، كإحدى علامات التاريخ الأسود لوجه الحضارة الأوروبية الآخر، الذي أباد السكان الأصليين وخاصة الهنود الحمر، فكانت ضحاياه أكثر من 34 مليوناً، وذلك في الفترة ما بين عامي 1492 – 1691م.

والملاحظ أنه حسب الإحصائيات الدولية الرسمية، فإن أكبر 10 حروب في التاريخ لم يكن أحد أطرافها الفاعلين مسلمين أو عرباً، اللهم إلا من خلال مشاركة الدولة العثمانية (رجل أوروبا المريض وقتها) في الحرب العالمية الأولى ليتم بعد هزيمتها تقسيم تركتها بين الحلفاء الغربيين، أي أنها كانت ضحية للمستعمرين الطامعين.

حروب داخلية

كل هذا ولم نتحدث عن بعض الحروب الداخلية التي جعلت الحضارات المتعاقبة ومنها الأوروبية أو الروسية أو الصينية تأكل نفسها، حيث كان الضحايا بالملايين، بأيديهم هم وليس بأيدي غيرهم.

والتاريخ يحفظ لنا وقائع وحروباً استمرت سنوات، وكان ضحاياها بالملايين، وكانت بين بني البلد الواحد والأرض الواحدة والحضارة الواحدة، ومنها الحرب الأهلية الروسية التي تراوح عدد ضحاياها ما بين 5 – 9 ملايين، حسب مصادر روسية في الفترة بين عامي 1917 – 1922م.

ومنها حرب الثلاثين عاماً بين الدول الأوروبية، التي تتراوح عدد ضحاياها ما بين 3 – 11.500 مليون، وذلك بين عامي 1618 – 1648م.

ومنها أيضاً حروب «نابليون» أو ما أطلق عليها الحروب النابليونية داخل أوروبا، حيث كان عدد ضحاياها يفوق الملايين الثلاثة بكثير، خلال الفترة بين عامي 1803 – 1815م.

وعلى ذكر «نابليون»، يمكننا تذكر حروب فرنسا الدينية المعروفة باسم حروب «الهيغونوت» التي اقترب عدد ضحاياه من 3 ملايين في الفترة بين عامي 1562 – 1598م.

ومنها أيضاً الحرب الأهلية الأمريكية يبلغ عدد ضحاياها نحو 880 ألفاً خلال الفترة بين عامي 1861 – 1865م.

ولم ولن ينسى التاريخ أن الحملات

www.mugtama.com

الصليبية المتاجرة بالصليب، والساعية لتحقيق مكاسب اقتصادية وسياسية، ذبحت نحو 70 ألف مسلم في يوم واحد بالقدس، وأن بحيرات الدم أغرقت المسجد الأقصى.

تفنيد المغالطات

في كتابه «الإسلام والغرب»، قام المفكر الإسلامي الراحل د. محمد عمارة، بعمل إحصاء تاريخي لضحايا الغزوات والحروب الإسلامية التي خاضها النبي صلى الله عليه وسلم، ليظهر منها مدى ما يمكن أن يتصوره العقل المنصف عن مبعوث العناية الإلهية إلى البشر صلى الله عليه وسلم؛ فجاءت على النحو التالي:

غزوة بدر (70 مشركاً، 14 مسلماً)، وغزوة السويق (مسلمان)، وبعث كعب بن الأشرف (مشرك واحد)، وغزوة أُحد (22 مشركاً، 70 مسلماً)، وغزوة حمراء الأسد (مشرك واحد)، بعث الرجيع (7 مسلمين)، وبعث بئر معونة (27 مسلماً)، وغزوة الخندق (3 مشركين، 6 مسلمين)، وغزوة بني قريظة (لا يوجد)، ويوضح د. عمارة أن الـ600 الذين قتلوا من بني قريظة لم يُقتلوا في الحرب، وإنما قُتلوا قضاء بالتحكيم الذي ارتضوه جزاء على خيانتهم، فلا يُحسبون في قتلى المعارك.

كذلك فإن بعث عبدالله بن عتيك (مشرك واحد)، وغزوة ذي قرد (مشرك واحد، مسلمان)، وغزوة بني المصطلق (مسلم واحد)، وغزوة خيبر (مشركان، 20 مسلماً)، وغزوة وادي القربى (مسلم واحد)، وغزوة مؤتة (11 مسلماً)، وفتح مكة (17 مشركاً، 3 مسلمين)، وغزوة حنين (84 مشركاً، 4 مسلمين)، وغزوة الطائف (13 مسلماً).

ويخلص د. عمارة إلى أن مجموع ضحايا كل الحروب التي خاضها الرسول صلى الله عليه وسلم 203 مشركين، و183 مسلماً.

وبعدها يعقد المفكر الإسلامي مقارنة بين هذه النتيجة وضحايا حروب العهد القديم، وبعد أن يوثق بالمصادر اليهودية كل ما حدث من حروب داخلية بين اليهود، وما حدث بينهم وبين غيرهم، يخلص إلى نتيجة مفادها أنه وخلال فترة ربما كانت قريبة من فترة النبي صلى الله عليه وسلم التي عاشها وخاض فيها كل تلك الحروب التي فرضت عليه، فإن المجموع من الضحايا غير اليهود

1635650 ضحية، وعدد ضحايا اليهود في حروبهم الداخلية أو مع غيرهم 352827 ضحية.

جهاد النبلاء

هكذا علق د. علي جمعة، مفتي مصر السابق، على ما تردد من مغالطات بشأن التاريخ الإسلامي وما شهده من حروب، خاصة في الفترة النبوية وفترة الخلفاء الراشدين.

وأكد جمعة، عبر صفحته بموقع التواصل الاجتماعي «فيسبوك»، أن عدد قتلى جهاد النبي صلى الله عليه وسلم أقل ممن قتلوا في حوادث سيارات في أي مدينة كبرى خلال عام واحد! وإذا تكلمنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باعتباره قائداً مجاهداً شجاعاً نبيلاً، نراه وهو يعلم قادة الجيوش في العالم بأسره حقيقة الحروب، وكيف تدار، ومتى تبدأ، وكيف تنتهي.

وأوضح جمعة أنه وبالاطلاع على الحقائق التاريخية يتأكد ذلك المعنى، ومن هذه الحقائق أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يسعَ إلى الحروب، وإنما فُرضت عليه بسبب الاعتداء عليه، أو رغبة الظلم والعدوان عليه وعلى المسلمين، أو محاربة دين الله والآمنين، حيث فُرض على النبي صلى الله عليه وسلم طوال قيادته للدولة الإسلامية 82 تحركاً عسكرياً، لم ينشب القتال في 60 منها، و5 تحركات لم يُقتل غير المسلمين، ومجموع القتلى والشهداء من الفريقين 1004 أشخاص، بينهم 252 شهيداً مسلماً والباقي من المشركين، وهذه الأرقام ليست من الفظاعة حتى تجبر العالم بأسره أن يخشى من الإسلام ويدخل فيه خوفاً من السيف، وذلك يؤكد أن القتال لم يكن الاختيار الأول عنده صلى الله عليه وسلم في نشوب النزاعات، وأنه كان يبتعد عن القتال قدر استطاعته حتى لا يجد منه بداً؛ بأن يدافع عن نفسه وينصر المظلومين وينشر الإسلام.

وقال جمعة: إن هذه الحروب بين المسلمين بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم أنتجت نحو 6500 أسير، عفا النبي صلى الله عليه وسلم عن 6300 أسير، ولم يأسر ويستمر الأسر إلا على 200، فكان صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، وبذلك الخلق وتلك الأرقام يعلمنا النبي صلى الله عليه وسلم كيف نجاهد جهاد النبلاء، كيف نكون أتقياء مراقبين لله حتى في ظل احتدام المعركة، كيف نذكر الله في كل وقت بخاصة في وقت الجهاد.■

المصادر

1 – أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية، د. محمد أحمد المبيض.
2 – الغرب والإسلام، د. محمد عمارة.
3 – التجربة الصينية: الماضي والحاضر والمستقبل، تشانغ باي جيا، ترجمة وتحقيق: مريم محسن، وأسماء صالح، وآية عبدالله، وجوزيف موسى.
4 – معجم المعارك التاريخية، نجاة سليم محمود.
5 – الموسوعة السياسية والعسكرية، فراس بيطار.

أخلاقيات الفتح الإسلامي.. قراءة في «الوثيقة العمرية»

إسلام فرحات

هو سؤال ربما بدا غير مألوف في معالجة ما عُرف في التاريخ الإسلامي بـ«الوثيقة العمرية» أو «العهدة العمرية».. سؤال يتعين إثارته في ظل عالم يموج بصراعات لا يعرف السلام الحقيقي لها طريقاً، ويبدو أنه لن يعرف في المنظور القريب.. سؤال يثير متوالية من علامات الاستفهام الأخرى، حول هذا النص الرائع في تسامحه، والمتسامي في روحه الوثابة إلى أعلى درجات السلام.

ثم هو من جهة أخرى يثير المتوالية ذاتها حول المكان الذي كانت فيه تلك الوثيقة، ورمزيته التي تلاقت مع تصاريف أقدار الله عز وجل.

والسؤال هنا: ما السر خلف اختصاص تلك المدينة بحركة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وما يمثله من رمزية إسلامية كبرى، واستدعائه وتأكيده بنود تلك الوثيقة، وإشهاده عليها كبار صحابة النبي صلى الله عليه وسلم؟

ألم يفتح عمر مدناً كبرى غيرها؟ ألم ترفع رايات الإسلام في عهده على معاقل كثيرة وكبيرة، وربما أكثر إستراتيجية من تلك المدينة؟

ربما يبدو السؤال محاولة لبيان منزلة المدينة المقدسة، ومحوريتها في الصراع، وهو ما قال ويقول به كثيرون، لكن الأمر هنا أكبر كثيراً مع مراعاته لهذا البعد في طرح السؤال.

ففوق محورية تلك المدينة المقدسة، تبرز فكرة مفادها أن البعد الإنساني ربما يبدو أكثر وضوحاً في أوقات الاختلافات الشديدة، عقدية أو أيديولوجية أو مذهبية أو عرقية أو غيرها، وهنا يتجلى الغرض من طرح هذا السؤال.

إن محورية الصراع في القرآن الكريم التي ظهرت بوضوح في مفتتح سورة «الإسراء»، وعدد فيها الحق جل وعلا مرات هذا الصراع، وشروطه؛ ﴿فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا﴾ (الإسراء: 5)، ﴿فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ﴾ (الإسراء: 7)، تؤكد أنه صراع ستتلاشى فيه كل آفاق تلك الأخلاق التي يريدها هذا الدين، ستتلاشى معاني الإنسانية تحت وطأة الغل العقائدي الصهيوني، ستتلاشى معاني الرحمة والعدل

ما السر خلف اختصاص «القدس» بحركة الفاروق وما يمثله من رمزية إسلامية كبرى وتأكيده بنود الوثيقة؟

الوثيقة أسست حالة من التعايش لم تقدر كل مواثيق الأمم المتحدة إلى الآن أن تحقق جزءاً منها

وستعلو كل معاني الحقد والكراهية والبغضاء والأثرة.

ولهذا كان لا بد من تأسيس منهجية ترتكن على واقع، يسمو فوق التسامي ذاته، ويرسم الطريق ويحدد الآليات، واقع لا تضيع فيه الفوارق، لكنه يؤطرها بإطار إنساني، واقع يكون فيه المنهج النظري الذي أسس له القرآن، وأسس له النبي صلى الله عليه وسلم معيشاً مرئياً محسوساً، تتناقله الأجيال، وأقصى ما يستطيعه الطاعنون فيه، هو التشكيك في وجوده من الأصل، إذ إن كل الطرق حول دلالته الواقعية تعلو على أي محاولة للتشكيك.

تلك هي النقطة، وهذه هي اللطيفة التي ينبغي أن تكون حاضرة في نقاش هذا الحدث التاريخي الفريد.

نص يكاد من فرط تساميه أن يكون معجزاً في تطبيقه، بالإضافة إلى ما اكتنفه من تبعات وقتية أثناء كتابته تعتبر تطبيقاً عملياً رصيناً تذوب العقول خجلاً من دلالاته العبقرية التي قادها الملهم ابن الخطاب، وهنا نقصد تحديداً ما روي -بعيداً عن التشكيكات- من عرض البطريرك على أمير المؤمنين عمر حينما حضرته الصلاة أن يصلي حيث هو، وعدم رضائه بذلك، وتعليله بأن يقطع كل طريق على من يأتي بعده من اعتبار هذا المكان قد صار ملكاً للمسلمين؛ لأن عمر صلى فيه.

وفوق تلك الدلائل على أن حدث

www.mugtama.com

نَصُّ «الوثيقة العمرية»

نص «الوثيقة العمرية» كما أورده الطبري، وابن عساكر، وغالبية كتب التاريخ الإسلامي، وحتى ما احتفظت به الكنيسة الأرثوذكسية مع بعض الاختلافات في التقدمات، لكن النص داخل المعاهدة واحد:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبدالله أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان؛ أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها؛ أنه لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها، ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضام أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم (ويخلي بِيَعهم وصلبهم)، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بِيَعهم وصلبهم، حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية.

شهد على ذلك: خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبدالرحمن بن عوف، ومعاوية ابن أبي سفيان.. وكتب وحضر سنة خمس عشرة هجرية».■

الوثيقة العمرية حدث استثنائي في التاريخ الإسلامي، تبرز أحداث التاريخ ذاتها، لتؤكد نجاح الوثيقة في جعل مجتمع «إيلياء» (القدس) مجتمعاً استثنائياً، مجتمعاً، كما يقول أستاذنا المستشار طارق البشري، «له خبرته التاريخية في القدرة على التعايش رغم الاختلاف العقائدي».

فهذا «برنار الحكيم»، بعد إبرام الوثيقة أو العهدة العمرية بقرون، وبعد ظهور آثارها على مجتمع مختلف في العقيدة، يزور القدس في القرن التاسع عشر ويصف زيارته وما رآه بقوله: «إن المسلمين والمسيحيين النصارى في القدس على تفاهم، والأمن مستتب فيها، لدرجة أنني إذا سافرت من بلد إلى بلد ومات جملي أو حماري، وتركت أمتعتي مكانها، وذهبت لاكتراء دابة من البلدة المجاورة، ثم عدت، سأجد كل شيء على حاله لم تمسه يد».

إن آثار الوثيقة قد تعدت عصرها إلى تأسيس حالة من التعايش لم تقدر كل مواثيق الأمم المتحدة إلى الآن أن تحقق جزءاً منها، والسبب معروف، ففوق أن لعمر رضي الله عنه وصدقه بركات لا تنكر، فإن نصوص الوثيقة ذاتها وعناية الحكام المسلمين بتنفيذها والحفاظ عليها هي ما جعلت هذه الحالة تصير من مجرد معاهدة إلى كونها نظام حياة ألفه كل من في المدينة على اختلافاتهم العقائدية أو الفكرية أو العرقية.

إن الإلحاح البادي في أول الوثيقة على بيان تفاصيل تتعلق بالعبادة يؤكد عبقرية عمر رضي الله عنه التي تحدثنا عنها، وربما بالنظرة الفاحصة يعضد تلك الرواية التي ذكرناها عن عدم رغبته في الصلاة داخل الكنيسة، إنه رجل يدرك أن الشيطان، كما يقولون، يكمن في التفاصيل، ولذا أراد أن يقطع الطريق على كل من يريد اللعب في هذه المساحة الملغومة.

انظر الحديث عن التفاصيل في نص الوثيقة التي يمكن للبعض أن يظنها مكرورة «أعطاهم أماناً لأنفسهم، وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم»، كان من الممكن مع هذا التفصيل أن ينتقل، لكنه أراد تأكيداً آخر فقال: «وسقيمها وبريئها وسائر ملتها».

ثم يعاود تأكيداً من نوع آخر «أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها»، فللرموز شأن عند أصحابها، وإنسانية الإسلام أسمى من فكرة الانتقاص من تلك الرموز حتى يقول: «ولا من صليبهم»، ثم يعاود التأكيد على الأموال مرة أخرى: «ولا من شيء من أموالهم»، وثالثة يؤكد بتفصيل أكثر على عدم الإكراه بأي صورة من الصور: «ولا يكرهون على دينهم، ولا يضام أحد منهم».

إذن هي حدث -كما قلنا- استثنائي في توقيته، ودلالاته، وتفاصيله، لأنه يعالج أصلاً من أصول هذا الدين، الذي يمكنه أن يجعل من قيمه العليا مظلة جامعة تنضوي تحتها كل الاختلافات.

وتبقى الإشارة إلى أن عمر رضي الله عنه الذي تجلت عبقريته في تلك الوثيقة، وفي معالجة تفاصيلها تربى على مائدة نبي كان يودّع قادة حربه قائلاً لهم: «اغزوا في سبيل الله من كفر بالله، ولا تغدروا، ولا تغيروا، ولا تقتلوا امرأة ولا شيخاً فانياً، ولا طفلاً، ولا تفرقوا بين أم وولدها، ولا تقطعوا شجراً، ولا تهدموا بيتاً.. وإنكم تأتون قوماً أهل كتاب فيهم العابد في صومعته فلا تروّعوه»، لم يقل: فلا تقتلوه، مجرد الترويع، حتى قال بعض الشراح: «إذا كان سير خيلك بجوار الكنيسة أو المعبد سيزعج من فيها فعلى قائد الجند أن يختار طريقاً آخر».

صلى الله على المربي الأعظم، والرسول الأكرم، ورضي الله عن العبقري الملهم، عمر الفاروق، وأعاد الله على المسلمين أمجاد قيمهم ويمن إنسانيتهم.■

الأسرة المسلمة.. والسلام العالمي

فاطمة عبدالرؤوف
كاتبة متخصصة بقضايا المرأة والمجتمع

لا يمكن أن يتحقق السلام في العالم وبين الحضارات دون إيمان الإنسان الفرد بهذا السلام؛ فالإنسان الفرد هو أصغر وحدة في أي حضارة، ودون إيمان هذا الفرد بفكرة السلام سيتحول بشكل أو آخر لوقود للكراهية والعداء التي تتعدد صورها، التي قد تصل للعدوان أو الانخراط في تنظيمات وتشكيلات متطرفة أو إرهابية تعمل على تقويض سبل الحوار بين الحضارات، وتضع مجتمعات بل وحضارات كاملة في قفص الاتهام؛ لذا لا يمكن الحديث عن السلام العالمي دون التطرق لهذا الإنسان الفرد وكيف تصنع أفكاره؟ وكيف تتشكل مشاعره؟ وكيف تهذب سلوكياته؟

وهنا نجد أنفسنا وجهاً لوجه في حالة تماس مباشر مع الأسرة والبيت الذي ينشأ فيه هذا الفرد، وكون هذه الأسرة تتمتع بالسلام فتمنحه لأفرادها، أم أنها تحمل قيم النزاع والصراع والعدوان فينشأ أفرادها يحملون مفرقعات نفسية قابلة للتفجير في أي لحظة.

قبل التطرق لدور الأسرة في صناعة إنسان يشعر بالسلام الداخلي ومن ثم يكون عنصراً فعالاً في تحقيق السلام العالمي، لا بد من الإشارة إلى أن الإسلام يقرر أن اختلاف الناس أمر طبيعي لا بد من القبول به والتعامل معه بشكل واقعي؛ فهذه هي إرادة الله عز وجل؛ ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (هود: 118)؛ بل دعا للتعارف بين جميع شعوب الأرض وقبول الآخر المختلف والحوار معه للتوصل لقيم عالمية مشتركة؛ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: 13).

والتعاون مع الآخر المختلف لرفض الظلم ورده وحفظ الأمن والسلام أمر معتَبَر في شريعة الإسلام؛ لذلك أقرَّ النبي صلى الله عليه وسلم ما قام به «حلف الفضول» أيام الجاهلية، حيث تعاهدوا ألا يظلم أحد في مكة إلا ردوا مظلمته؛ «لقد شهدت مع عمومتي حلفاً في دار عبدالله بن جدعان ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو دعيت به في الإسلام لأجبت» (رواه البيهقي).

وعندما تكون هذه هي فلسفة الإسلام في النظر للآخر المختلف، فلا شك أنها تكون نفس الفلسفة التي تتبناها الأسرة المسلمة التي يقع على عاتقها وضع الخطوط العريضة الأولى لعقلية الناشئة؛ فينشأ على حب السلام ورفض الظلم والإيمان بقيمة الحوار والقبول بالآخر والتعاون معه في هذه القيم الإنسانية الفطرية.

التعاون مع الآخَر المختلف لرفض الظلم وحفظ الأمن أمر معتبر في شريعة الإسلام

سلام البيت

يتلقى الطفل والمراهق داخل نطاق الأسرة المشاعر والعواطف وما تتضمنه من حب واهتمام ودعم وكل ما يمنحه سلام نفسي وعاطفي، كما يتلقى أيضاً داخل نطاق الأسرة أفكاراً وتصورات عن الحياة والمجتمع وباقي الشعوب والحضارات، فإذا كانت أفكاراً معتدلة مفتوحة مرنة كان الطفل والمراهق كذلك، وإن كانت الأفكار مغلقة متشددة فغالباً لا ينجو الابن أو الابنة من لعنة هذه الأفكار، بل إن الطفل والمراهق يتعلم سلوكيات وممارسات داخل الأسرة الصغيرة غالباً ما يسعى لتطبيقها في عالمه الواسع بعد ذلك.

الطفل الذي ينشأ في بيت يسوده السلام الداخلي يصعب للغاية سقوطه في براثن التنظيمات المتطرفة في مرحلتي المراهقة والشباب؛ لأنه ببساطة يتمتع باتجاهات هادئة في حياته.

الطفل الذي ينشأ ببيت يسوده السلام الداخلي يصعب سقوطه في براثن التنظيمات المتطرفة

دراسة: 83% من الأفارقة الذي انخرطوا بالتنظيمات المتطرفة افتقروا لدور الأم في الحب والحنان

البيت الذي يعيش أجواء السلام الداخلي يقوم على زوج وزوجة يتمتعان بالصحة النفسية وسلامة الضمير ويشعران بالسلام والسكينة الذاتية، ولا يوجد ما هو أفضل من الالتزام الديني والصلاة وذكر الله عز وجل ليتحقق هذا السلام الذاتي.

تأتي الأحكام الشرعية التي تنظم الحقوق والواجبات داخل البيت المسلم لتكون بمثابة مرجعية لنزع فتيل أي خلافات، فالزوج له درجة القوامة وما يتبع ذلك من مسؤوليات كبيرة كالنفقة المناسبة ومتابعة الأبناء، والأم هي راعية لأولادها بكل تفاصيل حياتهم الصغيرة، والوالدان بينهما قنوات حوار وتشاور حتى في الأمور البسيطة كموعد فطام الطفل؛ ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ (البقرة: 233)، «فإن أتفق والدا الطفل على فطامه قبل الحولين، ورأيا في ذلك مصلحة له، وتشاورا في ذلك، وأجمعا عليه، فلا جناح عليهما في ذلك، فيؤخذ منه: أن انفراد أحدهما بذلك دون الآخر لا يكفي، ولا يجوز لواحد منهما أن يستبد بذلك من غير مشاورة الآخر، قاله الثوري وغيره، وهذا فيه احتياط للطفل، وإلزام للنظر في أمره، وهو من رحمة الله بعباده» (تفسير ابن كثير).

الطفل الذي ينشأ في بيت يفعل قيمة الشورى وما يتبعها من ثقافة الحوار، وفي أجواء يعرف كل طرف فيها حقوقه وواجباته بمساحة خلاف محدودة وطبيعية وصحية، وتفعل فيها آلية الشورى والحوار والعدالة لحل هذه الخلافات ينبعث في نفسه كل صور الطمأنينة والسلام، ويسعى لتحقيق هذا السلام في كافة دوائره بعد ذلك فيميل لكل ما يحقق السلام وينفر من كل ما يناقضه.

الحرمان والتطرف

العكس أيضاً صحيح، فإذا نشأ الطفل في بيئة يسودها الشقاق والصراع والعنف، وإذا ما تعرض في صغره للإيذاء البدني أو النفسي، وإذا حرم من مشاعر الحب والتعاطف والتقدير والاهتمام؛ فإنه يكون هدفاً سهلاً للتنظيمات المتطرفة والإرهابية، فهو نفسياً على أتم استعداد للاندماج معهم مقابل حاجته للتقدير والاهتمام بالإضافة لطبيعته النفسية التي تميل للعنف والصراع.

في دراسة استغرقت عامين، أعدها برنامج الأمم المتحدة الإنمائي وحملت عنوان «رحلة إلى التطرف في أفريقيا.. العوامل والحوافز ونقطة التحول للتجنيد»، تم البحث عن الأسباب الاجتماعية والنفسية والتعليمية التي تدفع الشخص للانضمام إلى تنظيم «متطرف عنيف»، وذلك من خلال مقابلات مباشرة أجراها الباحثون مع متطرفين أفارقة سبق لهم الانخراط في تنظيمات إرهابية، أثبت الباحثون فيها أن الطفولة التعيسة تؤدي دوراً حاسماً في إعداد الطفل للانخراط في تنظيمات إرهابية في المستقبل.

وأظهرت نتائج الدراسة أن 83% من الذين انخرطوا طواعية في التنظيمات المتطرفة العنيفة كانوا يفتقرون إلى الدور الذي تؤديه الأم من حب واهتمام وحنان ورعاية، وأكدت الدراسة أن ثمة ارتباطاً قوياً بين الأفراد الذين انضموا للجماعات المتطرفة ومعاناتهم بسبب حرمان أحد الوالدين أو كليهما معاً، أو غياب التأثير الفاعل للوالدين في مرحلة الطفولة لمن تم تجنيده، والأمر نفسه بالنسبة لمن مرَّ بمراحل يأس وإحباط في طفولته، أو عانى من عقوبات جسدية أو إيذاء نفسي.

يمكننا القول إذن: إن حرمان الطفل في مرحلة الطفولة من حاجته للحب والاهتمام والانتباه والاحتواء يسبب خللاً نفسياً في مرحلتي المراهقة والشباب؛ فيجعله حاداً عنيفاً يميل للصراع ويكون هدفاً سهلاً للتجنيد من قبل التنظيمات المتطرفة والإرهابية التي تشبع لديه الحاجات النفسية المفقودة من أيام الطفولة، فتشبع حاجته للتقدير والاهتمام، وتتكون بينه وبين أفراد التنظيم رابطة عاطفية ونفسية قبل أن تكون فكرية أو أيديولوجية.

بين الاندماج والذوبان

على أن هناك نقطة بالغة الأهمية ونحن نناقش دور الأسرة المسلمة في صناعة إنسان يؤمن بالسلام ويسعى للتعرف على الآخر ويتعاون معه وينفر من الصراع والعدوان الكراهية، وهي أنه ينبغي الاهتداء بفلسفة الإسلام الوسطية سواء في الفكر أو الممارسة أو حتى على مستوى الشعور؛ فهناك فارق ضخم وكبير بين التعرف على الآخَر والتعاون معه، وبين الانبهار به والذوبان في تفاصيل حضارته، وهناك فارق ضخم بين التعاطف معه والتعامل معه بعدالة وأن أحبه حب المسلم للمسلم، وهناك فارق رهيب بين السعي للتعرف على نقاط القوة والضعف في الحضارات الأخرى من منظور الثقة بالذات الحضارية والنظر لهذه النقاط بشعور النقص والهزيمة.

هذه الأفكار لا بد أن تكون حاكمة للنظرة الشاملة للعملية التربوية التي تقوم بها الأسرة المسلمة، وبما يتناسب مع سن الطفل أو المراهق، ولا يكون هذا بالطريقة المباشرة فقط رغم أهميتها، وإنما يكون تعليقاً على حدث أو مقرر دراسي أو حتى فيلم وثائقي، أو تعليقاً على آية أو حديث بوضع مجموع الآيات أو الأحاديث معاً، بحيث يملك الطفل مبكراً مهارة القراءة الوسطية لها، وإن لم يكن يمتلك القدرة الكاملة على مناقشة الأفكار، فهو على الأقل يمتلك الضمير الذي يجعله يميّز بين الحق والباطل، فلا يسهل استقطابه لأحد وجهي التطرف.■

السلم العالمي.. من مقاصد التشريع الإسلامي

د. أحمد ناجي
من علماء الأزهر الشريف

يهدف التشريع الإسلامي إلى تحقيق السعادة للإنسان في هذه الدنيا حتى تتحقق خلافة الله تعالى في الأرض، فجاءت الشريعة لتأمين مصالح الإنسان؛ فدارت حول جلب المنافع له، ودفع المضار والمفاسد عنه، فهي ترشده إلى الخير وتهديه سواء السبيل، وتدله على البر وتأخذ بيده إلى الهدي القويم، وتكشف له المصالح الحقيقية، ثم وضعت له الأحكام الشرعية لتكون له هادياً ودليلاً لتحقيق هذه المقاصد وهذه الغايات.

معرفة المقاصد تكوّن النظرة الكلية لأحكام الدين وفروعه فيتحدد ما يدخل في التشريع وما يخرج منه

من البدهيات في حياة طالب العلم أن أوامر الله تعالى ونواهيه لا تُعلل؛ لكن هذا لا يمنع من البحث في مقاصد التشريع ليزداد المؤمن إيماناً إلى إيمانه وقناعة في وجدانه ومحبة لتشريعه وتمسكاً بدينة وثباتاً على صراطه المستقيم، فيفخر بدينه ويعتز بإسلامه، خاصة إذا قارن ذلك مع بقية التشريعات والأنظمة الوضعية، وعندما يدرك أن كل أوامر الله تعالى ونواهيه إنما شُرعت لتحفظ له دينه ونفسه وعقله وعرضه وماله.

المقاصد والغايات:

المقاصد لغة: جمع مقصد، من قصد الشيء وقصد له وقصد إليه، بمعنى طلبه وأتى إليه[1]، والمقاصد في اصطلاح العلماء هي: الغايات والأهداف والنتائج والمعاني التي أتى بها التشريع الإسلامي وأثبتها في أحكامه، وسعى إلى تحقيقها وإيجادها والوصول إليها في كل زمان ومكان[2].

وعند استقراء آيات القرآن الكريم نجد أن الله تعالى ربط كثيراً من العبادات التي افترضها علينا بمقاصدها؛ فقال تعالى في عموم العبادة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: 21)، فالقصد من العبادة التزود بالتقوى التي تدفع المسلم إلى ما ينفعه وتمنعه من الوقوع فيما يضره، وهو ما جاء مفصلاً في كل عبادة من العبادات، ففي الصلاة قال تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (العنكبوت: 45)، وفي الصوم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: 183)، وفي الحج قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة: 197).

وفي الزكاة قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (التوبة: 103)، وفي المعاملات بيَّن الله تعالى الهدف والحكمة منها، وأنها لتحقيق مصالح الناس بجلب المنافع لهم ودفع المفاسد والأضرار والمشاق عنهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ (البقرة: 282)، ثم قال تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ (البقرة: 282)، ثم بيَّن الله تعالى المقصد من وراء ذلك فقال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ (البقرة: 282)، وقال تعالى في النهي عن أكل المال الحرام: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 188).

كما بيَّن سبحانه وتعالى الحكمة والمقصد من تحريم الخمر ومن مشروعية القصاص بما يضيق المقام عن استقرائه هنا.

كما بيَّن الله تعالى أنه لا يهدف من وراء التكليف الإرهاق والمشقة، بل يهدف من الأحكام رفع الحرج والمشقة عن الناس فقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: 286)، وقال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ (المائدة: 6)، وقال

تعالى: (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) (الحج: 78).

وهكذا يتبين أن الله تعالى شرع الأحكام لمقاصد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى الكبرى»: «إن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها»، وقال الإمام الشاطبي في «قواعد الأحكام»: «إن الأعمال الشرعية ليست مقصودة لأنفسها، وإنما قُصد بها أمور أخرى، هي معانيها، وهي المصالح التي شُرعت من أجلها»[3].

والفوائد التي تعود على طالب العلم من معرفة المقاصد كثيرة، منها: أنها تجعل عنده التصور الكامل للإسلام فتتكون لديه النظرة الكلية الإجمالية لأحكامه وفروعه، ومن ثَم تتحدد له بشكل عام ما يدخل في التشريع وما يخرج منه، فكل ما يحقق مصالح الناس في العاجل والآجل، في الدنيا والآخرة فهو من التشريع، وكل ما يؤدي إلى الفساد والضرر والاضطراب والمشقة فهو ليس من التشريع، بل منهي عنه.

يقول ابن القيم رحمه الله: «إن الشريعة مبناها وأساسها على الحِكَم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت من العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة، وإن أُدخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم أتم دلالة وأصدقها»[4].

كذلك تبيِّن معرفة المقاصد الأهداف السامية والغايات الجليلة التي يرمي إليها التشريع الإسلامي، ولمعرفة مقاصد التشريع أهمية كبرى عند العالم والفقيه، فهي تنير في معرفة الأحكام الشرعية الكلية والجزئية من أدلتها الأصلية والفرعية، وتعينه على فهم النصوص الشرعية وتفسيرها بشكل صحيح عند تطبيقها على الواقع، وترشده عند تحديد مدلولات الألفاظ ومعانيها، لتعيين المعنى المقصود منها، وتعينه كذلك على الترجيح عند تعارض الأدلة الكلية أو الجزئية في الفروع والأحكام[5].

تقسيم المقاصد بحسب المصالح:

حصر علماء الأصول مصالح الناس

عند استقراء آيات القرآن نجد أن الله تعالى ربط كثيراً من العبادات التي افترضها علينا بمقاصدها

مقصد التشريع الإسلامي حفظ المصالح الثلاث في حياة الناس.. الضرورية والحاجية والتحسينية

وقسموها بحسب أهميتها وخطورتها وأثرها في الحياة وحاجة الناس إليها إلى ثلاثة أقسام، وذكروا أن مقاصد التشريع جاءت لتحقيق هذه المصالح بأقسامها الثلاث، وهي:

1 - المصالح الضرورية: وهي التي تقوم عليها حياة الناس الدينية والدنيوية، كما يتوقف عليها وجودهم في الدنيا، ونجاتهم في الآخرة، وإذا فُقدت هذه المصالح الضرورية اختل نظام الحياة وفسدت مصالح الناس، وتنحصر هذه المصالح في خمسة أشياء، هي: الدين والنفس والعقل والعرض والمال[6].

2 - المصالح الحاجية: وهي الأمور التي يحتاجها الناس لتأمين شؤون الحياة بيسر وسهولة، وتدفع عنهم المشقة، وتخفف عنهم التكاليف، وتساعدهم على تحمل أعباء الحياة، وإذا فُقدت هذه الأمور لا يختل نظام حياتهم ولا يتهدد وجودهم، ولكن يلحقهم الحرج والضيق والمشقة، ولذلك تأتي الأحكام التي تحقق هذه المصالح الحاجية للناس لترفع عنهم الحرج وتيسر لهم سبل التعامل وتساعدهم على صيانة مصالحهم الضرورية[7].

3 - المصالح التحسينية: وهي الأمور التي تتطلبها المروءة والآداب، ويحتاج إليها الناس لتسيير شؤون الحياة على أحسن وجه وأكمل أسلوب، وإذا فُقدت هذه الأمور فلا تختل شؤون الحياة ولا ينتاب الناس الحرج والمشقة، وهذه الأمور التحسينية ترجع إلى ما تقتضيه الأخلاق الفاضلة والأذواق الرفيعة وتكمل بها المصالح الضرورية والحاجية[8].

ومنهج التشريع الإسلامي لرعاية هذه المصالح ينبني على أمرين أساسيين:

أ- الأحكام الشرعية التي تُؤمِّن إيجاد هذه المصالح وتكوينها.

ب- الأحكام الشرعية التي تحفظ هذه المصالح وترعاها وتصونها وتمنع الاعتداء عليها أو الإخلال بها.

ولقد نزلت آيات الأحكام التي تُوجِد هذه المصالح وتحفظها وتصونها، وباستقراء جهود علماء الأصول وجدنا أن أهم القواعد الفقهية التي من خلالها يتم ترجيح أحد الأحكام والمصالح على بعض:

- الضرورات تبيح المحظورات.
- يُتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام.
- يُرتكب أخف الضررين لاتقاء أشدهما.
- المشقة تجلب التيسير.
- الحرج مرفوع شرعاً.
- الحاجيات تنزل منزلة الضرورات في إباحة المحظورات.
- الضرر لا يزال بضرر.
- دفع المضار مقدم على جلب المنافع.
- درء المفاسد أولى من جلب المصالح[9]. ■

الهوامش

(1) القاموس المحيط 337/1 - المصباح المنير 692/2.

(2) مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، ص13.

(3) موسوعة قضايا إسلامية معاصرة، أ.د. محمد الزحيلي، 631/5.

(4) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، 4/3.

(5) علم أصول الفقه، عبدالوهاب خلاف، مقاصد الشريعة، ص15 وما بعدها.

(6) المستصفى، أبو حامد محمد الغزالي، تحقيق: محمد عبدالسلام عبدالشافي، 286/1.

(7) المرجع السابق: 290/1.

(8) الموافقات، الشاطبي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، 6/2.

(9) موسوعة قضايا إسلامية معاصرة، أ.د. محمد الزحيلي، 651/5.

www.mugtama.com

«حماس» تعرض لأول مرة خارطة طريق للصفقة..

مصادر تكشف لـ«المجتمع» خفايا مفاوضات صفقة تبادل الأسرى بين الفلسطينيين والصهاينة

فلسطين المحتلة
محمد سالم :

يشهد ملف صفقة تبادل الأسرى بين حركة المقاومة الإسلامية (حماس) وكيان الاحتلال الصهيوني حراكاً مكثفاً بوساطة عدة أطراف، من أبرزها مصر وقطر وتركيا، تقوم على أساس إفراج الاحتلال الصهيوني عن آلاف من الأسرى الفلسطينيين، مقابل إطلاق «حماس» سراح 4 أسرى «إسرائيليين» محتجزين لديها، ومنهم جنديان فقدت آثارهما خلال عدوان عام 2014م على قطاع غزة، ولا يعرف الاحتلال مصيرهما؛ هل هما على قيد الحياة أم لا؟

عرضت «حماس» لأول مرة على وسائل الإعلام عبر المتحدثين باسمها خارطة طريق للتوصل لصفقة تبادل الأسرى تقوم على أساس إمّا الذهاب نحو صفقة تبادل كاملة يتمّ تنفيذها على دفعة واحدة، وتشمل الإفراج عن أسرى صفقة «شاليط» عام 2011م المُعاد اعتقالهم والنساء والأطفال والمرضى، بالإضافة إلى ذوي المحكوميات العالية، وإمّا تجزئة الصفقة إلى مرحلتين؛ بحيث يتمّ في المرحلة الأولى إطلاق سراح الأسرى المعاد اعتقالهم في صفقة «شاليط» والأسيرات والأطفال، مقابل تقديم «حماس» معلومات حول الجنود الصهاينة، فيما تشمل المرحلة الثانية الإفراج عن الآلاف من الأسرى ذوي المحكوميات العالية مقابل إطلاق سراح الجنود الأربعة، وهذا العرض أكده لـ«المجتمع» المتحدث باسم حركة «حماس» عبداللطيف القانوع.

من جانبه، يؤكد المختص في الشأن الفلسطيني و«الإسرائيلي» د. ثابت العمور، لـ«المجتمع»، أنه لم يتوقف الحراك في موضوع صفقة تبادل الأسرى بين «حماس» والاحتلال، ولكن ما يحدث أن الأمر تتزايد حركته في بعض الأحيان وفق معطيات سياسية معينة، ولا سيما في الحسابات السياسية للاحتلال، كالانتقال من حكومة «نتنياهو» إلى حكومة «بينيت»، أو لدخول وسطاء جدد على خط الصفقة والتبادل، لافتاً إلى أن صفقة التبادل هي إحدى المعارك التي تدور بين «حماس» والاحتلال، وتتحرك الصفقة دوماً حسب حسابات كل طرف، لذلك رأينا قبل عام تحريك «حماس» للصفقة وتقديم رئيسها بغزة يحيى السنوار لعرض من جزأين، ثم تعنت الاحتلال بعد الحرب الأخيرة، وربط إعادة الإعمار بإنجاز صفقة التبادل، وحدثت اتصالات وتداول الوسطاء وجهات النظر لدى كل طرف، وعندما وجد كيان الاحتلال تعنت «حماس» وتمسكها بموقفها فكان اللقاء بين رئيس وزراء الكيان والرئيس المصري، وانتهى بفك ربط صفقة الأسرى بإعادة الإعمار لقطاع غزة، وهذا تحول مهم جداً يُحسب لـ«حماس».

وأشار العمور إلى أنه عندما بدأ الأمر يتحرك باتجاه الصفقة حدثت عملية «نفق الحرية» من سجن جلبوع التي خلطت أوراق الوسطاء، لكنها لم توقف الاتصالات والمقترحات، وعندما أعاد الاحتلال اعتقال الأسرى الستة الذين حرروا أنفسهم من سجن جلبوع حدث تبدل في التفاصيل؛ إذ طالبت «حماس» بإدراج هؤلاء الستة في قائمة أي صفقة قادمة، وعاد الحديث مرة أخرى عن تغيير في العروض؛ إذ عادت «حماس» وقدمت خطة من جزأين؛ إما أن تتم الصفقة دفعة واحدة ويفرج الاحتلال عن الأسرى من النساء والمرضى والأطفال، والذين أعيد اعتقالهم بعد صفقة «شاليط» وباقي الأسرى

القانوع: المرحلة الأولى إطلاق الأسرى المعاد اعتقالهم بصفقة «شاليط» والنساء والأطفال مقابل معلومات حول الجنود الصهاينة

.. والثانية الإفراج عن آلاف الأسرى ذوي المحكوميات العالية مقابل إطلاق الجنود الأربعة

كلهم، مقابل إفراج «حماس» عن الأسرى الأربعة لديها دفعة واحدة، وإما الإفراج عن النساء والمرضى وأسرى صفقة «شاليط» بما مجموعة 1117 أسيراً، وفي مقدمتهم الأسرى الستة الذين حرروا أنفسهم، مقابل معلومات عن الجنود الأسرى لدى «حماس» وعددهم أربعة، والأرجح أن الاحتلال سيذهب للخيار الأول.

وأكد العمور أن هناك عدة أطراف بعضها انسحب وبعضها زادت وتيرة تدخلها، وأهم الوسطاء في الصفقة حالياً مصر وقطر وتركيا، موضحاً أنه لا أحد من الوسطاء يضغط على «إسرائيل»، لأن الضغط ذاتي ومن داخل الكيان، لكن الضغوطات كلها على «حماس» للموافقة على الصفقة بالشروط «الإسرائيلية»، وهذا ما يفسر الخطة الأخيرة التي قدمتها «حماس» وعرضتها على وسائل الإعلام، وفي العادة تُقدَّم المقترحات للوسطاء ولا تُعرَض في الإعلام، ولكن عرضها من قبل «حماس» يعني قطع الطريق على ضغوطات الوسطاء بأن هذا ما لدينا.

من جانبه، قال الكاتب والمحلل السياسي مصطفى الصواف، لـ«المجتمع»: إن «حماس» بدون شك قدمت مقترحين لإبرام الصفقة، والآن الكرة في ملعب الاحتلال، وهو ما يعطلها، ولا يوجد أي تقدم رغم الجهود المبذولة من مصر، مؤكداً أن الإشكاليات قائمة، و«حماس» قدمت قائمة بأسرى الاحتلال وهم أربعة، ولا يعرف مصيرهم إلا «حماس»، وكل ما يتحدث به الاحتلال تخمينات، وإذا أرادت معرفة مصير جنودها فعليها تنفيذ مطالب «حماس»، مشيراً إلى أن الاحتلال مُصرٌّ على أن الجنديين اللذين بحوزة المقاومة هما في عداد القتلى، لكن «حماس» لن تفصح عن أي معلومة عن الأسرى إلا بشروطها.

وعن إمكانية تنفيذ حكومة «بينيت» لصفقة تبادل في ظل التركيبة الائتلافية الحالية، أشار الصواف إلى أن «بينيت» سيكون هو الفائز للاستمرار في الحكم إذا نفذ صفقة تبادل أسرى، مستشهداً برئيس الوزراء السابق «نتنياهو» الذي أبرم صفقة «وفاء الأحرار»، لافتاً إلى أنه لا عدد محدداً للأسرى الذين تريد «حماس» إدراجهم في الصفقة، وأن من يحدد كشوف الأسماء هي «كتائب القسام»، الجناح المسلح لـ«حماس».■

تاريخ صفقات تبادل الأسرى

أفرزت العقود الماضية من مقاومة الاحتلال الصهيوني الكثير من صفقات التبادل، وأبرزها 9 صفقات، ترصدها «المجتمع»:

1 - في 23 يوليو 1968م، تمت بين منظمة التحرير الفلسطينية والاحتلال، بعد نجاح مقاومين من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في تنفيذ أول عملية اختطاف لطائرة «إسرائيلية» كانت متجهة من العاصمة الإيطالية روما إلى «تل أبيب»، وأجبرها المقاومون الفلسطينيون على التوجه والهبوط في الجزائر، وعلى متنها أكثر من 100 راكب، وتم إطلاق سراح ركاب الطائرة بوساطة الصليب الأحمر الدولي مقابل إفراج الاحتلال عن 37 أسيراً من ذوي الأحكام العالية.

2 - في عام 1969م، اختطف مجموعة من المقاتلين من الجبهة الشعبية كذلك، بقيادة الفدائية الشهيرة ليلى خالد، طائرة «إسرائيلية» ثانية للإفراج عن أسرى فلسطينيين داخل سجون الاحتلال، وقد هبطت الطائرة في بريطانيا، وفشلت عملية الاختطاف، واستشهد أحد الخاطفين، واعتُقلت ليلى خالد من قبل السلطات البريطانية، وبعدها اختطفت الجبهة الشعبية طائرة بريطانية، وتمت صفقة تبادل أطلق بموجبها سراح ليلى خالد.

3 - في 28 يناير 1971م، تمت صفقة تبادل أسرى بين حركة «فتح» والاحتلال، بوساطة اللجنة الدولية للصليب الأحمر، أطلق بموجبها سراح أقدم أسير فلسطيني وهو محمود بكر حجازي، مقابل إطلاق سراح الجندي الصهيوني «شموئيل فايز»، الذي اختطفته حركة «فتح» أواخر عام 1969م.

4 - في 14 مارس 1979م، تمت عملية تبادل أسرى باسم «النورس» بين الاحتلال ومنظمة التحرير الفلسطينية، أطلقت بموجبها فصائل المنظمة سراح جندي صهيوني، وقد أسر في أبريل 1978م في عملية الليطاني بلبنان، مقابل إفراج الاحتلال عن 76 أسيراً.

5 - في عام 1983م، تمت عملية تبادل بين حركة «فتح» والاحتلال، أطلق الاحتلال بموجبها سراح جميع أسرى «معتقل أنصار» في الجنوب اللبناني، وهم 4700 أسير فلسطيني ولبناني، إضافة إلى 65 أسيراً من السجون «الإسرائيلية»، مقابل إطلاق سراح 6 جنود صهاينة تم أسرهم في جنوب لبنان عام 1982م.

6 - في عام 1985م، جرت عملية تبادل للأسرى بين الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والاحتلال، سميت بعملية «الجليل»، أطلق الاحتلال فيها سراح 1155 أسيراً فلسطينياً ولبنانياً من سجونها، مقابل 3 جنود «إسرائيليين» كانوا في الأسر لدى الجبهة الشعبية.

7 - وفي عام 1997م، تمت عملية تبادل بين الحكومة الأردنية والاحتلال، حيث تم إطلاق سراح الشيخ أحمد ياسين، مؤسس حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، ومرافقين اثنين له، مقابل إطلاق سراح عنصري «الموساد» اللذين تم اعتقالهما في محاولة اغتيال فاشلة لرئيس المكتب السياسي لـ«حماس» خالد مشعل.

8 - في أكتوبر 2009م، أفرج الاحتلال عن 20 أسيرة فلسطينية من الضفة الغربية وقطاع غزة، مقابل الحصول على مقطع مصور يظهر فيه الجندي الصهيوني «جلعاد شاليط» حياً الذي أسرته فصائل مقاومة فلسطينية في عام 2006م شرق مدينة رفح جنوب قطاع غزة.

9 - في أكتوبر 2011م، تم التوصل لصفقة كبيرة لتبادل الأسرى أطلق عليها «وفاء الأحرار»، حيث أطلق الاحتلال سراح 1027 أسيراً فلسطينياً، مقابل إطلاق «حماس» سراح الجندي «جلعاد شاليط».

وينتظر الأسرى وكل الشعب الفلسطيني الصفقة الجديدة لتبادل الأسرى التي يأمل الفلسطينيون منها تبييض سجون الاحتلال من الأسرى، خاصة أصحاب المحكوميات العالية والأسرى القدامى والمرضى والنساء والأطفال.■

www.mugtama.com

الانتخابات العراقية..
قراءة في ضوء السياسة الشرعية

د. طه أحمد الزيدي
عضو الهيئة العليا للمجمع الفقهي العراقي

إنّ التغيير السياسي الإيجابي نحو الأقرب إلى الصلاح والأبعد عن الفساد مطلب شرعي، ومقصد معتبر لحفظ الضروريات العامة والخاصة، يقول الله تعالى على لسان أحد أنبيائه: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ (هود: 88)، وقد شرع الإسلام وسائل عدة لحفظ الحقوق السياسية أو التداول السلمي للسلطة، ووظف الفقه الإسلامي إجراءات سياسية عملية متجددة ومتطورة لا تخالف أصول الشريعة أو مقاصدها الكلية؛ لتحقيق التغيير وتصحيح المسار السياسي، والاعتداد بهذه الوسيلة أو تلك الأداة أو ذلك الإجراء، يتأثر بحالة المسلمين تمكيناً واستضعافاً، ونوع الحكم وطبيعة القوى الدولية، وإمكانية تحقيق المصالح كلها أو جلّها، ودرء المفاسد أو تقليلها، ولعل من أهم الوسائل النافعة والإجراءات المحققة للتغيير ما يكون منطلقها من الداخل على مستوى النفس أو المجتمع، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: 11).

ومع تنوع وسائل التغيير السياسي وأساليب تداول السلطة وتأثرها بتطور الأنظمة وحركة المجتمعات، فالشريعة الإسلامية أكدت الالتزام بالمبادئ العامة التي قررتها لبناء منظومة السياسة الشرعية، ولم تغفل مطلقاً عن وجوب مراعاة ثلاثة أمور عظيمة، تتعلق بعناصر التغيير السياسي الإيجابي والتداول السلمي، وهي:

1 – أهلية من يتصدر للتغيير: بأن يكون جامعاً لمعاني الشخصية القيادية المتمثلة بقوة الشخصية والأمانة والعدالة والخبرة العلمية والعملية، والتمكن فلا يخضع لضغوط تؤثر على ثباته على مواقفه وتصرفاته المشروعة والمنضبطة، فتحقق الأهلية فيمن يتصدر يغني عن طبيعة آلية الاختيار.

2 – مشروعية المقصد من التغيير أو إيجابيته: ويتجلى ذلك في تحقيق مصالح العباد بجلب المنافع أو تكميلها، ودفع المفاسد أو تقليلها، وأن تكون حقيقية غير متوهمة، عامة غير خاصة، كلية وليست جزئية ضيقة، أو حزبية قاصرة.

3 – انضباط وسيلة التغيير وأداة تصحيح المسار السياسي: فلا يكون شرّها في غالب الظن أكبر، وفساد استخدامها أشدّ، ومآلها إلى حال أسوأ، وأن تكون متاحة، لا يتعسر استعمالها ولا يصعب تطبيقها ولا يتعذر ضبطها؛ لأنه إذا أردت أن تطاع فاطلب بما يستطاع.

يجب مراعاة أهلية من يتصدر للتغيير بأن يكون جامعاً لمعاني الشخصية القيادية من الأمانة والعدالة والخبرة

عملية الانتخاب لأجل اختيار الأنسب معهودة في الشرع لتحقيق التمثيل الأفضل والتداول السلمي

وبناء على قاعدة «الحكم على الشيء فرع عن تصوره»، فإن توصيف الحال السياسية للعراق: أنه بلد مستضعف تكالبت عليه قوى الاستكبار والشر وأجندات التطرف والتبعية، فقوضت سيادته، وتنتهك القوانين المدنية التي تحكمه وينخر فيه الفساد، وأنهكه تفرق أبنائه وتشرذم مكوناته، وأوهنه تقويض هويته ونهب ثرواته، وأثخن جراحاته أنّ أكثر من تولى زمام أمره وتصدر مشهده السياسي الإمعة النفعيون الذين يستمدون من سياسة الإقصاء أو الخضوع قوة نفوذهم أو ديمومة بقائهم بعيداً عن سيادة العراق واستقراره وازدهاره أو الحرص على مصالح العراقيين.

وقد برزت خلال الحقبة السابقة مشاريع إصلاح ووسائل تغيير متنوعة الأساليب، ولكنها نجحت مرحلياً وفشلت في التمكن أو الوصول إلى مرحلة الاستقرار والازدهار والبناء والتعايش السلمي، أو تحقيق المشروع الوطني المدني الجامع المتكامل.

كما أنّ عملية الانتخاب لأجل اختيار الأنسب معهودة في الشرع، بقصد تحقيق التمثيل الأمثل لمكونهم أو لأجل التداول السلمي للسلطة، وتنظيم إدارة الحكم في

www.mugtama.com

البلاد، واحترام إرادة الشعب في التغيير عبر عملية سياسية قائمة عليها، وهي وإن لم تستكمل أدوات استقلالها وإتقانها التام، تمثل إحدى أدوات التغيير المعاصرة، ووسائله السلمية المتاحة، وخياراً واقعياً ممكناً ومتدرجاً في تحقيق المصالح العليا لأبناء الشعب العراقي كافة وممهداً للحكم الرشيد.

أولاً: إن الأمة أو الشعوب تختار أصلح الطرق وأنفع الوسائل المحققة لمصالحها المعتبرة بما لا يخالف الشرع، وإنّ عملية الانتخابات في العراق في ظل الظروف الراهنة، وسيلة معتبرة ومتاحة وممكنة لتحقيق المصالح العامة وتصحيح المسار السياسي ولو تدريجياً، وأصل المشاركة فيها مسألة اجتهادية، وقد تكون من باب الأخذ بالرخصة لأجل دفع ضرر أو جلب منفعة، أو إباحة ممارسة الحق السياسي مع مراعاة ضوابط اعتبارها.

ثانياً: إنّ التصويت مثلما أنّه حقّ شرعي ودستوري يندرج ضمن الحقوق السياسية المباحة للمواطن، إلا أن على صاحبه واجبات تتجلى في استشعار المسؤولية الشرعية والوطنية عند ممارسة هذا الحق لأنه يمثل أمانة وشهادة لمن يصوت له، والتفريط في هذا الحق سيوسع دائرة التزوير، ومآله إلى مصادرة إرادة الناخبين الراغبين بحق في تصحيح المسار السياسي والتغيير الإيجابي.

ثالثاً: من الواجبات المتعلقة بحق التصويت أن يمنح صوته لمن له أهلية سياسية وشخصية قيادية تجمع القوة والأمانة والعدالة والاستقامة، والعلم والخبرة والتخطيط الواعي وحسن السياسة والتدبير، وامتلاك إرادة الإصلاح والعزم على التغيير نحو الأفضل، وقد يتعذر أن تجتمع كل الصفات القيادية في مرشح فيقدم الأقدر على أداء المهام وتحمل المسؤولية، وقد نبه كثير من الفقهاء في مسألة اختيار الولاة والحكام إلى مراعاة ما يوجبه حكم الوقت والأنفع للأمة، فإن كانت الحاجة إلى فضل شجاعة كان الأشجع أحق، وإن كانت الحاجة إلى فضل علم فالأعلم أحق، وإن كانت الحاجة إلى فضل خبرة، فالأكثر خبرة أحق.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في السياسية الشرعية: «اجتماع القوة والأمانة في الناس قليل، ولهذا كان عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، يقول: اللهم أشكو إليك جلد الفاجر، وعجز الثقة، فالواجب في كل ولاية الأصلح بحسبها، فإذا تعين رجلان أحدهما أعظم أمانة والآخر أعظم قوة قدم أنفعهما لتلك الولاية، وأقلهما ضرراً فيها؛ فيقدم في إمارة الحروب الرجل القوي الشجاع -وإن كان فيه فجور- على الرجل الضعيف العاجز، وإن كان أميناً؛ كما سئل الإمام أحمد عن الرجلين يكونان أميرين في الغزو، وأحدهما قوي فاجر والآخر صالح ضعيف، مع أيهما يغزى؛ فقال: أما الفاجر القوي، فقوته للمسلمين، وفجوره على نفسه؛ وأما الصالح الضعيف فصلاحه لنفسه وضعفه على المسلمين، فيُغزى مع القوي الفاجر».

رابعاً: لا ينبغي التصويت لمن ثبت فساده وضعفه وخضوعه لأجندات فئوية ضيقة، أو خارجية أسهمت في تدمير البلد ونهب ثرواته، أو ثبت طغيانه واستبداده مما أدى إلى تقويض سيادته وتعطيل ازدهاره وتقدمه وتعزيز تبعيته، وتمزيق نسيجه الاجتماعي وتهديد سلمه الأهلي، والتفريط بحقوق من يمثلهم والمتاجرة بها.

خامساً: ليس كل جديد يتمتع بأهلية سياسية قادرة على التغيير الإيجابي، ولذا ينبغي عدم الانسياق وراء توصيفات لا تثبت أمام المعايير الحقيقية لهذه الأهلية، ولا بدّ من التحري عمن يغلب على الظن قدرته السياسية على التغيير الإيجابي.

سادساً: إنّ اعتماد نظام الدوائر المتعددة يعطي فرصة في اختيار المرشح الذي يملك الأهلية السياسية، كما سيؤدي إلى التحجيم التدريجي لنفوذ الكتل المسيطرة، وهيمنة القوائم الانتخابية التي يختلط فيها الصالح بالطالح، وكانت الأصوات فيها تذهب إلى المفسد، الذي استغل نفوذه أو المال السياسي ورضا الآخر؛ ليضمن الفوز والتصدر في القائمة أو التحكم بتدوير الأصوات.

مع التأكيد والتحذير من كثرة المرشحين في الدائرة الواحدة لأنه سيؤدي إلى تشتت الأصوات ومن ثم ضياعها.

سابعاً: إن حيازة بطاقة الناخب تضمن عدم استغلالها وتحفظ حق صاحبها مهما كان موقفه من العملية السياسية (معها أو ضدها)، ولذا ينبغي الحرص على حيازتها، ولا يجوز بيع بطاقات الناخب، سداً للذريعة؛ ولأنه طريق لاستحواذ المرشح الفاسد المفسد في تعزيز رصيده، كما فيه تهاون في الشهادة وإضاعة للأمانة وتفريط بالمسؤولية، ويفتح باباً للرشوة والغش والتزوير، وهو إعانة على الإثم وزيادة في الفساد وتقوية للمفسدين، وتمكيناً للمشاريع الهدامة.

ثامناً: ضرورة الأخذ بكل الإجراءات الاحترازية المهنية المعتمدة دولياً التي تضمن نزاهة عملية الانتخابات في مراحلها كافة أو على الأقل تقلل التلاعب بنتائجها، وعلى الجهات المعنية مراعاة ذلك، وهذا يشجع المتخوف ويعزز نسبة مشاركة الراغبين بالتغيير فيها.■

ليس كل جديد يتمتع بأهلية سياسية قادرة على التغيير فيجب التحري عمن يغلب على الظن قدرته على التغيير

إذا تعين رجلان أحدهما أعظم أمانة والآخر أعظم قوة قدم أنفعهما لتلك الولاية وأقلهما ضرراً فيها

ما الهدف من وراء محاولة الانقلاب «المزعومة» في السودان؟

طرح إعلان السلطات السودانية إحباط محاولة انقلاب عسكري الكثير من التساؤلات، حول الجهات التي حاولت ذلك، وما إذا كانت هذه المحاولة حقيقة، أم أن هناك مآرب أخرى وراء هذا الإعلان؟

ففي الوقت الذي يشكك فيه عدد من المراقبين والسياسيين في تلك العملية بهذه الصورة، يرى آخرون أن هذا الأمر حدث أكثر من مرة في السودان، لكن المريب هذه المرة -كما يرى المراقبون- الهجوم على القوى السياسية من قبل رئيس مجلس السيادة عبدالفتاح البرهان، الذي اعتبر أنها لا تهتم بهموم المواطنين وحل مشكلاتهم.

قال رئيس مجلس السيادة السوداني عبدالفتاح البرهان، عقب فشل المحاولة الانقلابية الأخيرة بالسودان: إن هناك من يسعى للجلوس على الكراسي، ولم نرَ قوى سياسية تتحدث عن الانتخابات أو هموم المواطنين وحل مشكلاتهم، وأضاف: هناك قوى سياسية تهاجمنا ولن نقبل بأن تتسلط علينا وتوجه لنا الإساءات، وواجبنا منع استئثار جهة سياسية واحدة بالسلطة خلال الفترة الانتقالية.

واتفق معه في ذلك نائب رئيس مجلس السيادة محمد حمدان دقلو (حميدتي)، الذي اتهم السياسيين في البلاد بأنهم «سبب الانقلابات العسكرية»، وقال: إن أسباب الانقلابات العسكرية هم السياسيون الذين أهملوا خدمات المواطن وانشغلوا بالكراسي وتقسيم السلطة.

وفي الوقت الذي أعلن فيه وزير الدفاع السوداني ياسين إبراهيم، أن قائد المحاولة الانقلابية هو اللواء ركن عبدالباقي الحسن عثمان بكراوي (54 عاماً) ومعه 22 ضابطاً برتب مختلفة وعدد من ضباط الصف والجنود، أثارت شخصية بكراوي الكثير من الجدل!

فقد نقلت وسائل إعلام محلية أن الرجل ينتمي لحزب «المؤتمر الوطني السابق»، لكن الأخير أصدر بياناً نفى فيه عن نفسه هذا الاتهام، وأكد رفضه التام للانقلابات العسكرية كوسيلة للتغيير السياسي، فيما نقلت وسائل إعلام أخرى عن ضباط مقربين من الرجل، أنه ضابط جيش بلا انتماء، فيما تحدث ناشطون عن انتماء بكراوي لحزب «البعث»، أحد أحزاب الائتلاف الحاكم، متهمين الأخير بأنه يقف وراء محاولة الانقلاب، وهو ما نفاه الحزب في بيان له رسمياً.

وبكراوي من مواليد عام 1967م بمدينة كوستي (جنوب)، وتعود أصوله إلى شمال السودان، والتحق بالكلية الحربية عام 1989م، وشارك في عمليات الجيش العسكرية بجنوب السودان في تسعينيات القرن الماضي، وتدرج الرجل في الرتب العسكرية حتى ترقى إلى رتبة لواء، وصار قائداً ثانياً لسلاح المدرعات عام 2019م.

وذكرت صحيفة «التغيير» السودانية الإلكترونية، أن بكراوي تم توقيفه عن العمل؛ بسبب رفضه لتغول «قوات الدعم السريع» بقيادة حميدتي، وتوسع مهامها، وذكرت الصحيفة أن بكراوي عاد من القاهرة قبيل العملية بيومين بعد خضوعه للعلاج جراء إصابته بمرض السكر، وتم بتر قدمه، وتركيب طرف صناعي له، هذه الحالة الصحية المزعومة لبكراوي عززت الجدل، عبر حسابات التواصل الاجتماعي للسودانيين، خاصة حول مدى قدرة الرجل على تنفيذ انقلاب.

المجتمع الدولي لن يعارض التحرك العسكري المقبل كونه سيأتي استجابة لمطالب قوى سياسية

تحرك عسكري

هذا، وقالت مصادر مطلعة لـ«المجتمع»: إن اجتماعات انعقدت، بين بعض القيادات العسكرية، لوضع خطة لتوقيف بعض رموز الحكومة الانتقالية تمهيداً لتحرك عسكري مدني، مشيرة إلى أن خطة الانقلاب تقوم على منهج لا يعتمد على التحرك العسكري وحده، بل سيكون انقلاباً في الجانب المدني.

وأضافت المصادر أن التحرك المقبل سيعتمد على بعض المحسوبين على القوى السياسية الثورية الذين التقوا مؤخراً بقيادات عسكرية، وأقسموا جميعاً بعدم خيانة بعضهم، بذريعة فشل الحكومة التنفيذية الحالية وضرورة تغييرها.

وأشارت المصادر إلى أن المخطط سيضمن لرئيس مجلس السيادة الانتقالي عبدالفتاح البرهان رئاسة المجلس، إضافة لعضوية ثلاثة من المكون العسكري، هم: محمد حمدان دقلو، وشمس الدين كباشي،

www.mugtama.com

وياسر العطا، وأربعة مدنيين، إضافة إلى تشكيل حكومة تصريف أعمال يترأسها رئيس الوزراء الحالي عبدالله حمدوك.

وتابعت: ستكون الخطوة الأولى ضبط مسؤولين مدنيين في مجلسَي السيادة والوزراء، قبل أن يعقب تلك الخطوة تحرك سياسي جماهيري تقوده قوى سياسية من داخل الحرية والتغيير، واللجنة الفنية لإصلاح الحرية والتغيير، وقيادات أهلية من كافة أقاليم البلاد، ويعتمد المخطط على حالة السيولة الأمنية والسياسية في البلاد، إلى جانب تدهور الأوضاع الاقتصادية، كما يستند سياسياً إلى حجة تفكك قوى الثورة، وأنها لم تعد معبرة عن الجميع.

وأشارت المصادر إلى أن المجتمع الدولي لن يعارض التحرك العسكري المقبل كونه سيأتي استجابة لمطالب قوى سياسية كانت جزءاً من المشهد السابق، كما سيضيف وجود رئيس الوزراء عبدالله حمدوك سنداً إقليمياً ودولياً لها، وذلك وفقاً لاتصالات أجريت مؤخراً مع عدد من الدول الإقليمية المؤثرة في المجتمع الدولي، موضحة أن المشاورات شملت القوى السياسية والعسكريين، لتقديم ضمانات بعدم تعرض قادة المجلس العسكري لمحاكمات، والانخراط، فور نجاح التحرك في الدعوة لمصالحة وطنية شاملة يدعو لها حمدوك صاحب السند الدولي.

ويؤيد هذه التصريحات إعلان كيانات سياسية وحركات مسلحة وشخصيات عامة، تمسكها بالمرحلة الانتقالية وشراكة العسكريين لاستكمال مؤسسات الفترة الانتقالية في بيان مشترك لـ12 حزباً

المريب هو هجوم البرهان على القوى السياسية واتهامها بأنها غير معنية بحل مشكلات المواطنين

وحركة مسلحة، و4 شخصيات عامة، أبرزها البعث، والاتحاد الديمقراطي الواحد، وحركة تحرير السودان بقيادة مناوي، وحركة العدالة والمساواة بقيادة جبريل إبراهيم.

وأوضح البيان أن الشراكة مع المكون العسكري اقتضته ضرورات الانتقال، وجاءت استناداً إلى وثائق المرحلة الانتقالية، وأضاف: يجب أن تكون هذه المشاركة مميزة بالاحترام المتبادل والمسؤولية وتغليب المصلحة الوطنية حتى مرحلة الانتخاب.

مسرحية مكشوفة

هذا، وقد رأى سياسيون ومراقبون أن هذه المحاولة الانقلابية إعلامية فقط، حيث قال الفريق منصور أرباب، رئيس حركة «العدل والمساواة» الجديدة: حتى هذه اللحظة لم أجد ما يقنعني بأن الذي سمي بمحاولة انقلابية حقيقية، وأضاف: لا يوجد حتى الآن ما يؤكد أن محاولة انقلابية حدثت، ففي تقديري أن ما تم الإعلان عنه هو مسرحية مكشوفة، ولا يوجد انقلاب على الإطلاق، مؤكداً أن هناك عشرات الآلاف من الأسباب تستدعي الانقلاب على حكومة الأمر الواقع الفاشلة، بكل ما تحمله الكلمة من معاني.

وأشار أرباب إلى أنه لا يوجد ما يبرر بقاء هذه الحكومة الفاشلة على الإطلاق، وستذهب عاجلاً أم آجلاً، بانقلاب أو بغيره، رغم أنني ضد أي انقلاب عسكري في السودان وفي أي مكان في العالم، ولكن تصرفات وفشل حكومة الصدفة وسلوكها هي من تبرر أسباب ذهابها.

فيما قال الكاتب والمحلل السياسي السوداني عبدالله رزق: إن بعض السودانيين رأوا في محاولة الانقلاب مجرد سيناريو تجريبي للخطة الانقلابية الحقيقية، وأضاف: الرأي الثاني يتمسك باعتبار أن الأمر كله لا يعدو إلا أن يكون خدعة عسكرية تستهدف جس نبض الشارع؛ لتحقيق الهدف نفسه، وهو الانقلاب على السلطة الانتقالية، مشيراً، في هذا الصدد، إلى أن محاولة الانقلاب تشكل مدخلاً جدياً لإعادة هيكلة القوات النظامية وبناء جيش وطني واحد، وفق نص الوثيقة الدستورية.

فيما استغرب سياسيون من محاولة الهجوم من قِبَل البرهان، وحميدتي، على القوى السياسية، حيث قال المتحدث باسم «التجمع الاتحادي» جعفر حسين: إن البرهان لم يُدن محاولة الانقلاب الفاشلة، وهاجم المدنيين، ومن لديه رأي في الشراكة فلْيَقُلْه بوضوح، وأرجع حسين محاولة الانقلاب إلى عدم إنجاز ملف إصلاح المؤسسة العسكرية، وهو من مسؤولية العسكريين.

واتهم عضو مجلس السيادة السوداني محمد الفكي سليمان المكونَ العسكري شريك السلطة الانتقالية في البلاد، بمحاولة السيطرة على الأوضاع السياسية، وقال الفكي: هنالك محاولة من المكون العسكري لتعديل المعادلة السياسية، وهذا مخل بعملية الشراكة، معتبراً أن ذلك هو الانقلاب الحقيقي وهو انقلاب أبيض.

وأضاف: المكون العسكري بحديثه عن خلافات داخل قوى الحرية والتغيير يهدف إلى السيطرة على العملية السياسية وتعيين أشخاص محددين (لم يذكرهم) في السلطة، وهذا مرفوض، وأردف: البرهان ليس وصياً على العملية السياسية بالبلاد، أرفض حديثه حول وصاية المكون العسكري على العملية السياسية.■

قراءة في مآلات الانتخابات الليبية المقررة في 24 ديسمبر المقبل

د. سعد أحمد سلامة

مدخل:

منذ حدوث التغيير السياسي في ليبيا، في 17 فبراير 2011م، وعلى الرغم من كل المحاولات المتكررة التي بذلت في سبيل الوصول إلى حل ما يرضي جميع الأطراف المعنية بها -أو على الأقل حتى الأقوى منها- داخلياً وخارجياً، ما زال الاستعصاء التام هو الحال المتحكمة في مفاصل ومسارات الأزمة الليبية.

10 سنوات مرت حتى الآن منذ ذلك التاريخ، دخلت فيها البلاد في أزمة سياسية خانقة عنوانها الكبير هو تنازع شرعيات متضاربة كل منها تدعي أحقيتها بالتولي (من الولاية) وبالاستحواذ على السلطة، في مشهد دموي عنيف كادت فيه البلاد وفي كثير من الأحيان أن تفقد فيه وحدتها الترابية وهويتها الوطنية الجامعة

عقد مضى من عمر ثورة 17 فبراير، وإن كانت الحرب والفوضى والنزاع هي السمة الغالبة عليها، إلا أن هذه السمة الغالبة وما تشكله هذه الدولة من أهمية معتبرة في قيمتها الجيوسياسية والاقتصادية جعل منها وخلافاً لغيرها من بؤر توتر مشابه لها ومتزامنة معها تحظى بوجود فرصة ما -على هشاشتها- بأن يكتب لها أن يتحقق فيها تسوية سياسية ما، تخرجها من أزمتها، فرص تسوية تنوعت في شكل جهود مضنية قادتها أطراف إقليمية ودولية، جهود ظلت دائماً -على الأقل ظاهرياً- منطلقة من الإطار السياسي الضابط لمعالجة هذه الأزمة، وهو المسار الذي خطته ورسمته وتتولى قيادته والإشراف عليه منظمة الأمم المتحدة من خلال بعثتها الدائمة في ليبيا، مسار سياسي أممي شاق استطاع القائمون عليه -وفي لحظة فارقة- أن يدفعوا بعضاً من قوى ليبية مثقلة بالتردد ومشبعة بالسلبية نحو التوافق على وثيقة اتفاق سياسي هش قاموا بالتوقيع عليه في مدينة الصخيرات المغربية في 17 ديسمبر 2017م.

إلا أن هذا الاتفاق وعلى الرغم من أنه يكاد يكون هو المرجعية الوحيدة لكل التوافقات الليبية التي تحظى بدعم دولي، وخلافاً للمأمول منه لم ينجح في إنهاء الأزمة الليبية، بل ربما كان سبباً كما يعتقد الكثيرون في إضفاء مزيد من حالة الاستعصاء على القابلية للحل السياسي للأزمة، ولتدخل البلاد به ونتيجة لتداعيات الخلاف حول تفسير مضامين بنوده في مرحلة جديدة أعنف من النزاع المسلح عندما قامت تشكيلات مسلحة تابعة للواء المتقاعد خليفة حفتر بمهاجمة العاصمة طرابلس، في 4 أبريل 2019م، منيت فيها بهزيمة كبيرة، في 6 يونيو 2020م، عندما أعلنت حكومة الوفاق الوطني سيطرتها على كافة الحدود الإدارية، هزيمة كان من أهم نتائجها أن جعلت من فرضية إنهاء الأزمة عن طريق الحسم العسكري التي تعتقد بها بعض من أطرافها وقواها الرئيسة داخلياً وخارجياً، أضعف ما تكون من أي وقت مضى، ولتتاح الفرصة من جديد أمام الأمم المتحدة من خلال بعثتها الدائمة في ليبيا وفي حلقة جديدة من مسارها السياسي أن تقود حواراً جديداً اجتهدت فيه بتوجيه الدعوة لـ75 شخصية ليبية ليكونوا أعضاء في جسم جديد قامت بإنشائه تحت مسمى

اتفاق الصخيرات لم ينجح في إنهاء الأزمة بل كان سبباً في استعصائها على الحل

«ملتقى الحوار السياسي الليبي»، في أواخر عام 2020م، من أجل العمل على صناعة خارطة طريق جديدة لحل الأزمة الليبية تنتهي بإجراء انتخابات رئاسية وبرلمانية.

وعلى الرغم من الصعوبات المختلفة التي واجهت أعمال ملتقى الحوار السياسي وحملة التشكيك التي طالت شرعية مخرجات أعماله وشخوص أعضائه، فإن هذا الملتقى نجح في الوصول إلى تحقيق نقطتين مهمتين؛ الأولى: تحديده لتاريخ 24 ديسمبر 2021م كموعد لإجراء الانتخابات الليبية، والثانية: اختياره لسلطة تنفيذية مؤقتة مكونة من مجلس رئاسي يرأسه محمد المنفي، وحكومة يرأسها عبدالحميد الدبيبة رئيساً للوزراء، تمهيداً للانتخابات 24 ديسمبر المقبل، إلا أن أعضاء الملتقى فشلوا في التوافق على الأهم وهو صياغة القاعدة الدستورية التي بها وبناءً عليها سيتم إجراء هذه الانتخابات المأمولة.

تطورات الأزمة بعد تشكيل السلطة التنفيذية:

بعد تشكيل الحكومة، كان من أهم الملامح العملية لدخول خارطة الطريق المتفق عليها حيز التنفيذ، قيام المفوضية العليا للانتخابات بفتح سجلات الانتخابات أمام المواطنين.

ومن الناحية السياسية، وفي خطوة أعطت انطباعاً إيجابياً لدى الكثير من المتابعين والمعنيين بالشأن الليبي بأن الأزمة في طريقها نحو التسوية، قام مجلس النواب الليبي، في 10 مارس 2021م، باعتماد التشكيلة الوزارية المقدمة من عبدالحميد الدبيبة، انطباع ما لبث أن بدأ في الانحسار شيئاً فشيئاً مع بدء ظهور حالة من الشك وعدم الثقة بين الحكومة من جهة ومجلس النواب من جهة أخرى، حين اختلف الاثنان حول الميزانية العامة للدولة وقضايا أخرى مرتبطة بالصلاحيات والاختصاصات الممنوحة، لتصل هذه الخلافات إلى الذروة حين قام مجلس النواب الليبي، في 21 سبتمبر الماضي، وفي خطوة متقدمة جداً، باتخاذ قرار بسحب الثقة من حكومة الدبيبة بحجة أنها لم تقم بتنفيذ المهام التي وجدت من أجلها؛ وهي توحيد المؤسسات ورفع مستوى الخدمات والاستعداد للانتخابات في 24 ديسمبر المقبل.

الأمور وصلت ذروتها عندما قام البرلمان بسحب الثقة من حكومة الدبيبة بحجة عدم قيامها بتنفيذ مهامها

هناك توجُّه شعبي داعم لحكومة الدبيبة ورافض لقرار مجلس النواب بسحب الثقة منها

إلا أنه، وعلى غير العادة، يمكن القول بوجود توجه شعبي ظاهر يمكن رصده بوضوح داعم لحكومة الدبيبة ورافض لقرار مجلس النواب بسحب الثقة، والسبب في ذلك يكمن في وجود شعور قوي عند هؤلاء بأن هذا القرار يعرقل جهوداً ملموسة يقوم بها الدبيبة من أجل تحسين ظروفهم المعيشية، كما أن القرار يعني أن إجراء انتخابات، في 24 ديسمبر المقبل، سيصبح أمراً صعباً جداً إن لم يكن مستحيلاً؛ مما يعني أن المستفيد الأكبر والمباشر من قرار سحب الثقة هو من أصدره؛ أي البرلمان الذي سيستمر أعضاؤه في البقاء في مراكزهم، هذا على صعيد ردود الفعل داخلياً، أما خارجياً فتكاد تكون كل الدول المعنية بالأزمة -على الأقل ظاهرياً- غير مؤيدة لقرار البرلمان بسحب الثقة من الحكومة؛ بسبب أن هذه الخطوة تعيق فرصة إجراء الانتخابات في موعدها المحدد، وتزيد من تعميق حدة الخلاف السياسي بين القوى السياسية الليبية؛ مما يعني إعادة الأزمة الليبية إلى مربعها الأول.

التطور الثالث الأهم بعد التوافق على تشكيل السلطة التنفيذية هو قيام رئيس مجلس النواب الليبي عقيلة صالح بإصدار قانون للانتخابات، كان سبباً هو الآخر في إدخال البلاد بمرحلة متقدمة جداً وأشد خطورة من التنازع بين قواها السياسية حين اختلفوا بشدة حول شرعية هذا القانون من عدمه، تنازع يمكن رصده في ردود الفعل المتباينة من هذه القوى السياسية من هذا القانون، ففي حين نجد أن من رحب به وبصدوره كانوا هم أغلب أعضاء مجلس النواب من المنطقة الشرقية وبعض نواب المنطقة الجنوبية من ليبيا، إضافة إلى اللواء المتقاعد خليفة حفتر، وأنصار النظام السابق، قوبل هذا القانون من الجهة الأخرى بمعارضة شديدة جداً من المجلس الأعلى للدولة وأغلب نواب المنطقة الغربية والجنوبية ودار الإفتاء وحزب العدالة والبناء والكثير من الشخصيات السياسية البارزة، وأخيراً - وربما هذا هو الأهم- من أغلب التشكيلات المسلحة في المنطقة الغربية.

وفي المجمل، يمكن حصر مبررات الرفض لقانون صالح للانتخابات في التالي:

- عدم تشاور مجلس النواب مع المجلس الأعلى للدولة قبل إصداره للقانون، كما تنص على ذلك وثيقة الاتفاق السياسي الصادرة عن ملتقى الحوار السياسي في اجتماعه المنعقد بمدينة جنيف، في 5 فبراير الماضي.
- الغموض وعدم الشفافية في كيفية إصداره والتصويت عليه.
- مضامين بنوده وخصوصاً النص الذي يعطي للعسكريين وحملة الجنسية المزدوجة حق الترشح لرئاسة البلاد.
- إعطاء فرصة كبيرة لأنصار النظام السابق للعودة مرة أخرى للحكم.
- إعطاء فرصة كبيرة لحفتر للوصول للسلطة بطريقة سياسية.
- إعطاء الفرصة للذين خرجوا من المشهد السياسي نهائياً بعد اختيار الدبيبة كرئيس للحكومة إلى العودة من جديد للمشهد.

تفاعلات دولية:

دولياً، تباينت المواقف من قانون عقيلة صالح للانتخابات، ما بين مؤيد ومعارض، ففي الوقت الذي أعلنت كل من مصر وفرنسا وروسيا تأييدها له، كانت دول أخرى أبرزها تركيا والجزائر وقطر والولايات المتحدة إضافة إلى الأمم المتحدة معارضة أو على الأقل متحفظة بشدة على قانون صالح، مرجعة ذلك إلى جملة من المبررات يمكن حصرها في التالي:.

- القانون صدر بطريقة مخالفة لخارطة الطريق المتفق عليها في مخرجات ووثائق جلسات الحوار السياسي التي ترعاها بعثة الأمم المتحدة في ليبيا.
- إجراء انتخابات وفقاً لهذا القانون بمثابة فرصة كبيرة لإعادة التموضع من جديد للقوى المتحكمة في إدارة البلاد.

www.mugtama.com

- إجراء الانتخابات وفقاً لهذا القانون يمثل فرصة كبيرة لوصول القوى الداعمة لخيار وصول حفتر لحكم البلاد وإقصاء للقوى المحسوبة على تيار فبراير والتيار الإسلامي.

- من جانب آخر، إجراء انتخابات وفقاً لهذا القانون سيؤدي لفقدان كل المكاسب السياسية والعسكرية والأمنية التي تم تحقيقها بفعل التدخل المباشر في تفاصيل الأزمة الليبية.

السيناريوهات المتوقعة للأزمة:

السيناريو الأقوى عدم إجراء الانتخابات؛ للأسباب التالية:

- غياب السيطرة الأمنية والعسكرية والسياسية الموحدة شرقاً وغرباً وجنوباً، كل رقعة جغرافية منفصلة واقعياً عن الأخرى.

- الرغبة الشديدة والمستميتة عند القوى المتحكمة في القرار الإداري والسياسي بالدولة في الاستمرار بالبقاء في السلطة (أعضاء مجلس النواب، أعضاء المجلس الأعلى للدولة، محافظ البنك المركزي، رئيس المؤسسة الليبية للنفط، رئيس المؤسسة الليبية للاستثمار، رؤساء كبريات مناصب الإدارة العليا والوسطى)، وإجراء الانتخابات مهدد حقيقي كبير لهذا الاستمرار.

- غياب وجود حتى الحد الأدنى من التوافق على قانون صالح الذي ستجري بناءً عليه ووفقه الانتخابات، فإذا ما سلمنا أن الانتخابات من السهل إجراؤها في المنطقة الشرقية بسبب دعم حفتر للقانون المنظم لها، فإن إجراءها في المنطقة الغربية غير ممكن مطلقاً بسبب الرفض الشديد لهذا القانون من أغلب القوى الرئيسة المتنفذة في هذه المنطقة.

- قرار سحب الثقة من الحكومة سيعطيها الحجة بأنها عاجزة عن القيام بالمتطلبات الإدارية والفنية اللازمة المتعلقة بإتمام العملية الانتخابية.

- أخيراً، وهذا هو المهم، أن دولاً جد مؤثرة في الشأن الليبي ضد إجراء أي انتخابات خوفاً وتحسباً لأي تداعيات تترتب عليها ويعاد بها رسم التموضع السياسي من جديد، وبشكل يفقدها القدرة على الحفاظ على مكاسبها السياسية والعسكرية والأمنية التي تمتلكها الآن، ويجعل من فرصها الاقتصادية المأمولة ضعيفة جداً إن لم تكن معدومة.

السيناريو الأضعف اندلاع الحرب؛ للأسباب التالية:

- حدوث تغيير في البيئة الإقليمية والدولية المعنية بالملف الليبي بما شهدته من تقارب وتبدل في المواقف البينية بين الدول الرئيسة في هذه البيئة.

- وصول التشكيلات المسلحة بما فيها القوات المسلحة التابعة لحفتر لحالة الإنهاك التام وعجزها الظاهر للقدرة على حسم الخلاف فيما بينها بقوة السلاح.

- كذلك، وصول مستويات القوة بين الأطراف السياسية والعسكرية الليبية لما يمكن أن نسميه نقطة التوازن، جهة مدعومة بقوة وإن كان بشكل غير مباشر من روسيا، وجهة أخرى مدعومة بقوة بشكل مباشر من تركيا، وبطريقة أصبح معها لا يمكن بأي حال من الأحوال تصور وصول حل للأزمة الليبية بما في ذلك إجراء الانتخابات من عدمها إلا من خلال الوقوف فقط على حالة التوافق التركي الروسي من المسألة الليبية.

قانون عقيلة صالح للانتخابات كان سبباً بإدخال البلاد في مرحلة متقدمة من التنازع بين قواها السياسية

.. ويعطي فرصة لأنصار النظام السابق للعودة مرة أخرى للحكم وكذلك لحفتر

إذن، يتوقع أن يستمر الوضع الحالي كما هو في ليبيا بعد موعد انتخابات 24 ديسمبر 2021م، مع الدخول في جولة جديدة من الحوار برعاية الأمم المتحدة وبعثتها الدائمة في ليبيا.

كما أن هناك مخاوف من حدوث انفجار أمني كبير بها يجعل من كل الدول المعنية بالملف الليبي حريصة كل الحرص على المحافظة على الحد الأدنى من الاستقرار في هذا البلد، لا حباً في شعبه، ولكن لما سيترتب على هذا الانفجار من تداعيات سيئة على محيطه الإقليمي والدولي بداية من موجات الهجرة غير الشرعية والجريمة المنظمة العابرة للحدود.

وأخيراً، وهذا هو المهم، أن تتحول هذه البلاد لموطن ارتكاز لدول متضاربة سياسياً كروسيا ومصر وفرنسا وتركيا (وربما تدخل كذلك الجزائر على الخط ناهيك عن أمريكا).

الخاتمة:

تستمر الأزمة الليبية في انسدادها، ولا مؤشرات حقيقية حتى الآن عن قرب الوصول إلى حل لها، ليس لأسباب خارجية؛ بل لأسباب أخرى تنحصر في تلك النوعية من النخب السياسية المرتهنة القابضة على مفاصل إدارة الدولة التنفيذية والتشريعية والقضائية، وهي تفتقد حتى للحد الأدنى من الروح الوطنية الكفيلة بأن تجعلهم سبباً في إنقاذ بلدهم مما يتعرض له من مخاطر قد تؤدي إلى تلاشيه بعد أن جعلت منه الكثير من القوى الإقليمية والدولية مسرحاً للتنافس على النفوذ ولتحقيق مصالحها الاقتصادية والسياسية.■

مقال

د. عامر البو سلامة
كاتب إسلامي

التوسع في التكفير.. ومنهج «الإخوان»

الإخوان المسلمون أكثر الناس بُعداً عن التكفير، وابتعاداً عن شروره، ويرفضون التوسع فيه، من منطلق الوسطية التي يتبنونها منهج عمل، ودستور فكر، كما هم رد لكل قواعد الغلو بكل أشكاله وألوانه، وروائحه وطعومه، وإن مناهجهم تؤكد هذا المعنى، وتحذر منه أيما تحذير، كل ذلك التزاماً بمنهاج النبوة، ومجافاة لطريقة الخوارج، الجفاة القساة، الشاردين عن طريق السلامة، الذين كفّروا المسلمين، واستباحوا دماء المصلين، وحاربوا المؤمنين.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى اللَّه عليه وسلم يَقُولُ: «لَا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلاً بِالْفُسُوقِ وَلَا يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ» (أخرجه البخاري: كتاب الأدب (44) باب ما ينهى عن السباب واللعان، رقم (6045)، ومسلم)، وفي رواية عند مسلم: «من دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو اللّه وليس كذلك إلا حار عليه»، وفي حديث عبداللّه بن عمر رضي اللّه عنه عن أبيه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال: «أيما رجل قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما»، وعند مسلم: «إن كان كما قال وإلا رجعت عليه» (أخرجه البخاري: كتاب الأدب (73) باب من أكفر أخاه بغير تأويل، رقم (6104)، ومسلم).

ذلك لأن تكفير المسلم شأنه خطر، وعواقبه وخيمة، وكوارثه لا تعد ولا تحصى، ونتائجه مصائبية، وترتب عليه أشياء تؤثر على الفرد والأسرة والمجتمع، بل تؤثر على كل مفاصل الحياة، فالأمر جد كله، ولا يعرف الهزل، وحرمة المسلم وحقن دمه تتنافى مع همجية التفكير الخارجي.

لذلك، فإن العلماء المحققين الربانيين وضعوا قواعد لهذا، وضبطوه بضوابط غاية في الدقة.

يقول الإمام الغزالي في كتابه «الاقتصاد في الاعتقاد» (ص 143): «إنه لا يسارع إلى التكفير إلا الجهلة، وينبغي الاحتراز من التكفير ما وجد الإنسان إلى ذلك سبيلاً، فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة، والمصرحين بقول: لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه؛ خطأ».

والإخوان حركة تسعى إلى الإصلاح، وتدعو إلى اللّه بالحكمة والموعظة الحسنة، وتعمل على بناء الحياة على قيم الرشد؛ فرداً وأسرة ومجتمعاً ودولة، تحب المسلمين على اختلاف مشاربهم، وتنوع مدارسهم، وتعدد اجتهاداتهم، بل تتطلع لكل صنوف التعاون معهم على قاعدة «نعمل على ما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه»، فكيف تنهج نهجاً مغايراً لهذا المعنى الكبير والأصيل؟

يقول الإمام حسن البنا، رحمه اللّه، في الأصل العشرين من أصوله المعروفة: «ولا نكفّر مسلماً أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاهما وأدى الفرائض -برأي أو بمعصية- إلا إن أقر بكلمة الكفر، أو أنكر معلوماً من الدين بالضرورة، أو كذب صريح القرآن، أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال، أو عمل عملاً لا يحتمل تأويلاً غير الكفر».

وكان د. السباعي، رحمه اللّه، ومعه إخوانه في هذه المدرسة العريقة، قد ضربوا أروع الأمثلة، التي تعبر عن حقيقة حب العلماء والإسلاميين والدعاة والصالحين، والرفق بعامة المسلمين، فكانوا قدوة في هذا الباب، وينبغي أن يكون خلاف الرأي لا يفسد للود قضية، فضلاً عن تكفيرهم والخوض في نواياهم.

واعلموا بأن عدم الخوض في تكفير المسلمين من أعظم مناهج الألفة بينهم، ومن أبرز أسباب بناء العلاقات الأخوية، وهي قاعدة الفتح في عالم التواصل مع المسلمين الذين يختلفون معك في الاجتهاد، وبهذا يبنى جسم الأمة على أساس متين من مفردات فهم فقه الإخاء الإسلامي.

نحن اليوم بحاجة إلى رص الصف الإسلامي، بكل مقاوماته، حتى نواجه التحديات التي تتربص بالأمة ودينها وهويتها، وحتى نتجاوز مخاطر التهديد التي تحيط بنا من كل جانب، وعلى كل الصُّعد.

وبالمقابل، علينا أن نبتعد عن كل ما يعكر صفو هذه الأخوة وما يفسدها، ومما لا شك فيه أن التكفير المنفلت من أعظم الشرور التي تمزق الصف المسلم، لذا كان الإخوان من أكثر الناس بُعداً عن هذا الداء الخطير، ونبذاً لمتاهاته، تحقيقاً للمنهج الذي ذكرنا أساسه في ثنايا هذه المقالة.■

المسلمون في «آسام» الهندية.. نصف قرن من القتل والتهجير

مرزوق فليح الحربي
نائب رئيس تحرير «المجتمع»

نشرت وكالات الأنباء العالمية صورة لصحفي هندوسي يقفز على جثة مسلم، قتلته القوات الهندية الهندوسية في ولاية آسام، لم تكن هذه الصورة لحادثة عابرة، بل خلفها قصة معاناة طويلة من العنف والاضطهاد العنصري، ومحاولة إلغاء الهوية الإسلامية في هذه الولاية الهندية.

ابتدأت معاناة المسلمين في الهند، وخاصة آسام، من عام 1974م، وهو العام الذي انفصلت فيه بنغلاديش عن باكستان، وأصبحت ولاية آسام منطقة حدودية للجمهورية البنغالية، وقد انعكس كون جمهورية بنغلاديش إسلامية على طابع ولاية آسام، خاصة أنه بسبب القرب والجغرافيا والعرق عزز دور الإسلام ليصبح ثاني ديانة في الولاية الهندية، كما أنه الدين الأول انتشاراً بها.

ولم يرُق هذا الأمر للحكومات الهندية الهندوسية المتعاقبة؛ فبدأت بإجراءات لمسح الهوية الإسلامية، ولعل الأحداث الإرهابية التي وقعت في عام 1983م هي الأشد عنفاً؛ حيث وقع العديد من المذابح ضد المسلمين، كان أقساها مذبحة قرية نيلي التي راح ضحيتها 3 آلاف شخص، وفي الفترة نفسها قامت مذابح أخرى في قرى مجاورة، وفي عام 1985م استُخدم أسلوب جديد في تهجير المسلمين من أراضيهم، تمثل في اتفاق سمي «اتفاق آسام»، وهو اتفاق أبرمه رئيس الوزراء في ذلك الوقت «راجيف غاندي»، ويقضي بتهجير وترحيل المسلمين القادمين من بنغلاديش من عام 1971م إلى تاريخه، ولكن بسبب الخلاف السياسي ووجود معارضة سياسية تَعرقل هذا الاتفاق.

وبعدها توترت الأوضاع في ولاية آسام؛ حيث لا يمر عام إلا وحدثت توترات ومظاهرات بسبب القمع ورفض المسلمين ومقاومة طمس هويتهم؛ ففي عام 2002م استخدمت القوات الهندية الأسلوب العسكري في قمع المسلمين المطالبين بحقوقهم، وخلال هذه الفترة قُتل نحو ألف مسلم في آسام بسبب القمع، وفي عام 2012م تجددت أعمال العنف ضد المسلمين، قام بها هندوس متطرفون، استخدمت فيها الأسلحة البيضاء والهجوم العشوائي على كل مسلم؛ سواء كان طفلاً أم امرأة أم شيخاً كبيراً، وتم حرق عشرات القرى، وتهجير أكثر من 10 آلاف شخص من بيوتهم.

المنظمات الحقوقية والأممية ثارت ضد «طالبان» لتخوفها من اضطهاد المرأة لكنهم تقاعسوا عندما تعلق الأمر بدماء مسلمي آسام

وفي مايو 2014م، تجددت أعمال العنف ضد المسلمين في آسام أيضاً؛ حيث هاجم المسلحون بيوت المسلمين، وكانوا يقتلون كل من يقابلهم؛ حيث يدخلون البيت ويقتلون من فيه ثم يحرقونه، واستمرت حوادث القتل والحرق أربعة أيام، نتج عنها قتل العشرات وهروب المئات من منازلهم.

وفي العام نفسه (2014م)، تسلم السلطة في الهند حزب بهاراتيا جاناتا الهندوسي المتطرف، برئاسة رئيس الوزراء «ناريندرا مودي»، وكان من أول قراراته سحب الجنسية الهندية من أربعة ملايين مسلم في ولاية آسام؛ بدعوى أنهم مهاجرون غير شرعيين، أتوا من بنغلاديش، وفعّل العمل باتفاق آسام -الذي أقره «راجيف غاندي»- ولم يكتف بذلك، بل أمر بإغلاق 700 مدرسة إسلامية في الولاية؛ حيث قال وزير التعليم في حكومة حزب بهاراتيا «بيسو سارما»: إن «هذه المدارس لا تخرج أطباء ولا مهندسين ولا دكاترة، ونحن لسنا في حاجة لمزيد من أئمة المساجد، ويجب أن يتغير التعليم في ولاية آسام ويصبح حكومياً».

وفي الأيام الأخيرة، قامت القوات الهندية بطرد العديد من المسلمين من منازلهم بحجة أنها أقيمت على أراضي الدولة، وقامت باصطحاب إعلاميين لتوثيق

www.mugtama.com

عمليات طرد المسلمين، وكان منها الصورة التي رأيناها ورآها العالم كله لتثبت لنا مدى العنف والقهر الذي يراه المسلمون في ولاية آسام؛ حيث تم قتل صاحب البيت المسلم، وقام الصحفي بالقفز فوقه إظهاراً لمزيد من الحقد تجاه المسلمين.

أدوار مفتقدة

لقد ثارت ثائرة منظمات حقوق الإنسان والمنظمات الأممية ضد حكومة «طالبان» لتخوفها من اضطهاد المرأة الأفغانية، وقلقها من أن تحرمها من العمل أو الدراسة، لكنها عند دماء المسلمين واضطهادهم وقتلهم وتهجيرهم في آسام صمتت صمت القبور، واعتبرته شأناً داخلياً للدولة؛ حتى إنها لم تكلّف نفسها ولو ببيان شجب أو استنكار، وتبعتها الدول والمنظمات الإسلامية، وكأن الأمر أقل من المطلوب، وأغلب الدول حتى لم تستنكر الواقعة.

وللتاريخ، فإن من شجب الحادثة، ودعا لوقفة احتجاجية ومقاطعة المنتجات الهندية هو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين الذي صدر بيانه بمطالبته باحترام الأقليات الدينية وإعطائها حقوقها، وفق ما تكفله الاتفاقيات الدولية، كما دعا ناشطون ورموز إسلامية، على رأسهم الشيخ التويجري، المدير العام السابق لمنظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة، إلى مقاطعة المنتجات الهندية، ونشر «الباركود» الخاصة بها، كما أن التفاعل الشعبي والعاطفة الإسلامية تمثلت بالمشاركة بالمنصات الإلكترونية لتوصيل رسالة للعالم، بأن المسلمين وإن تقاعست دولهم وخذلتهم المنظمات الحقوقية الغربية، وتخلت عنهم الدول العظمى التي تعتبر نفسها شرطي العالم، فإن الخير في هذه الأمة وفي شعوبها لنصرة إخوانهم.

تاريخ طويل من المعاناة

وسط بيئة هندوسية تحاربك -أيها المسلم- لدينك وعرقك، وترى أن دينك عدو لها وسط أمان من أي عقوبة دولية أو حتى اعتراض على أعمالها؛ فالضحية مسلم بالنهاية، وهذا أمر كاف لئلا تعاقب عليه.

لكن نذكّر بقول الرسول، صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (أخرجه مسلم).

ومن بدهيات القول التأكيد على أن هناك واجبات على كل مسلم تجاه إخوانه في آسام وفي جميع العالم؛ فأي مسلم يضطهد فقضيته قضيتك، وهمه همك، ونصرته واجبة على بقية المسلمين، سواء كانت بالقول أم المال أم الموقف السياسي أم الدعم المعنوي أم مطالبة الجهات الحقوقية بالتحرك.

فالشعوب الإسلامية والحكومات وفق هذه المنظومة العالمية لها تأثير؛ فمقاطعة المنتجات التجارية والوقفات الاحتجاجية ونقض الاتفاقيات له تأثير في القرار السياسي لأي دولة.

فيجب على المسلمين اليوم نصرة إخوانهم في آسام، وعدم التخلي عنهم ولو بالدعاء.■

بيان الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين بشأن «آسام»

استنكر د. علي القره داغي، الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ما يتعرض له المسلمون في الهند، وبخاصة في ولاية آسام الهندية، من العنف المنهج والقتل وأشكال الاضطهاد في حقوقهم وحريتهم الدينية وحياتهم الاجتماعية، ومحاولات إكراههم على التهجير من بيوتهم.

حيث أقدم مجموعة من رجال الشرطة في دسبور عاصمة ولاية آسام الهندية، بقتل 3 مسلمين بإطلاق النار عليهم وحرقوا وهدموا بيوتهم، بمساعدة عناصر من الحزب الحاكم الهندوسي المتطرف، وبعض رجال الإعلام، وذلك في محاولة لطردهم من التعديات المزعومة على أراض حكومية، بحسب ما ذكرته وسائل إعلام محلية.

كما أكد القره داغي أن هذه الأعمال منافية لجميع القوانين الدولية، والفطرة الإنسانية، ولجميع الشرائع السماوية، قال تعالى: ﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾ (المائدة: 32).

وأمام هذه الجرائم والمصائب المرتكبة ضد الإنسانية، يؤكد الاتحاد ما يلي:

أولاً: يطالب الأمم المتحدة والدول الإسلامية والعربية بإيقاف هذه الجرائم التي تصل إلى جرائم حرب ضد الإنسانية.

ثانياً: يدعو الحكومة الهندية إلى احترام كافة الحقوق والحريات الدينية والاجتماعية للأقلية المسلمة.. مع واجب الدولة في الحفاظ على أمن المواطن ومع العلاقات التاريخية مع العالم الإسلامي الذي لا يقبل بما يحدث ويتخذ الإجراءات بما فيها المقاطعة الاقتصادية ولو على المستوى الشعبي.

ويطالب العالم أجمع بالتعاون البناء الحقيقي الصادق لتحقيق السلم والسلام الاجتماعي على مستوى جميع الدول وبموازين دقيقة واحدة.

ثالثاً: يناشد الاتحادُ العالمَ الحر والمنظمات الأممية وحقوق الإنسان أن تقوم بواجبها الإنساني والحضاري نحو هذه الأقلية المسلمة التي تُضطهد لإزالتها، وباتخاذ جميع الوسائل لمنع هذا الاضطهاد.■

مسلمو اليونان.. تاريخ طويل من الاضطهاد

جمال خطاب

دخل الإسلام اليونان في النصف الأول من القرن الهجري الثاني، عندما فتح المسلمون بعض الجزر اليونانية مثل جزيرتي «رودس» و«كريت»، في عام 210هـ، بقيادة أبو حفص عمر الأندلسي، وانتشر الإسلام في أغلب الجزر اليونانية، وتجذر الوجود الإسلامي هناك بفتح المسلمين لشبه جزيرة البلقان.

وتم فتح مقدونيا في عام 782هـ/ 1380م، ثم امتدت مسيرة الإسلام إلى وسط اليونان، وخضع اليونانيون للحكم الإسلامي لعدة قرون، تأسست خلالها حضارة إسلامية راقية، وشُيّدت مئات المساجد ودور التعليم والمكتبات الإسلامية، ونشطت حركة التأليف في مختلف العلوم والمعارف الإسلامية والإنسانية، وظلت اليونان مقصد العلماء وطلاب العلم، فتزايدت أعداد المسلمين حتى بلغت أكثر من 60% من إجمالي عدد السكان حتى عام 1913م.

انتشار المسلمين بأنحاء مختلفة في اليونان حتى الآن أكبر دليل على أنهم كانوا أغلبية

يعد انتشار المسلمين في أنحاء مختلفة في اليونان، حتى الآن، أنصع وأكبر دليل على أنهم كانوا أغلبية في هذا البلد، وكان يمكن للدولة الإسلامية العثمانية التي حكمت هذا البلد قروناً أن تستأصل غير المسلمين لو أرادت، ولكن الإسلام هو الذي منعها من ذلك، ولذلك فاستمرار الوجود المسيحي التقليدي في اليونان ذاتها قروناً طويلة دليل دامغ على تسامح الإسلام، وفي الوقت ذاته، يعد استمرار الاضطهاد غير المبرر للمسلمين ليس في اليونان (مهد الديمقراطية!) وحدها ولكن في كافة أنحاء القارة الأوروبية دليلاً قوياً على عنصرية وهمجية وبربرية الغرب، الذي يدعي المدنية والتقدمية والتسامح كذباً وزوراً.

ينتمي المسلمون في اليونان إلى عدة أصول؛ فمنهم الأتراك ومنهم البلقان والبوماك والألبان، ومنهم اليونانيون أيضاً، وينتشرون في مناطق عدة، من أهمها:

- **تراقيا الغربية:** مساحتها 8758 كيلومتراً مربعاً، وعدد سكانها حوالي 400 ألف نسمة، ويقطنها أغلبية المسلمين في اليونان، وكانت هذه المنطقة تابعة لتركيا حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ثم احتلتها اليونان بعد ذلك، وقد كفلت معاهدة «لوزان» تحقيق المساواة والعدالة للمسلمين بها، وعدم المساس بمعتقداتهم ومساجدهم ومدارسهم وأوقافهم، لكن المعاهدة لم تُحترم، وبسبب اضطهاد المسلمين انخفض عدد قراهم من 300 إلى 40 قرية فقط.

- **مقدونيا:** وتقع شمالي اليونان، وعدد المسلمين فيها يتجاوز 15 ألف نسمة، وهم من الألبان واليونان والبوماك والغجر، وهؤلاء يعانون من التفكك والضياع بصورة مأساوية.

- **منطقة بحر إيجة:** خاصة جزيرتي رودس وكوس والجزر القريبة من تركيا، ويخشى على المسلمين فيها من الانفتاح والذوبان بالمجتمعات غير المسلمة.

- **منطقة شماريا (على الحدود الألبانية اليونانية):** تبلغ مساحتها 15 ألف كيلومتر مربع، ولا يعرف عدد المسلمين فيها على وجه الدقة، لكن المصادر التركية عام 1910م قدَّرتهم بـ83 ألفاً، والإحصاء اليوناني للسكان عام 1936م قدرهم بـ26 ألفاً.

- **أثينا (العاصمة):** بها عدد من المسلمين منذ العهد التركي، وهاجر إليها عدد آخر من المسلمين والألبان من مناطق مختلفة، كما تقيم بها جالية مسلمة من بعض الدول العربية، ويتجاوز عدد المسلمين بها 150 ألف نسمة.

إبادة المسلمين

تنقسم المذابح التي تعرض لها المسلمون في اليونان إلى فترتين؛ الأولى: حدثت إبان ما يسمى بحرب الاستقلال اليونانية، والثانية: في الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين الأولى والثانية.

أولاً: المذابح إبان حرب الاستقلال:

قام اليونانيون خلال ما يسمى بحرب الاستقلال اليونانية بمجازر بحق المسلمين في المنطقة، وقد أعلنت بعض المناطق اليونانية قضاءها على جميع المسلمين

www.mugtama.com

الموجودين فيها، وشرع جانب آخر من اليونانيين بمهاجمة السفن التركية على الشواطئ اليونانية، وقتل كل من فيها من الأتراك، وقد أشار المؤرخ «وليام أوجدن نيلس» إلى أنه تم قتل 3 آلاف شخص من هؤلاء في أغسطس فقط من عام 1821م.

- مجزرة شبه جزيرة بيلوبونيز:

نفذ اليونانيون إعدامات جماعية بحق جميع السكان المسلمين في منطقة بيلوبونيز، ويذكر المؤرخون أنه تم قتل أكثر من 20 ألف مسلم في شبه الجزيرة بمباركة قساوسة كنائس المنطقة، ويقدر بعض المؤرخين الآخرين أن عدد قتلى المسلمين كان 15 ألفاً.

- مذابح تربوليتشا:

يقدر المؤرخون أن عدد الذين قتلوا في مذابح تربوليتشا يصل إلى 35 ألف شخص، وفي المذبحة قام الروس واليونانيون بمدينة ميسترس عام 1770م بقتل أعداد هائلة من المسلمين، وتذكر المصادر أنهم قاموا بإلقاء الأطفال المسلمين من أعلى المآذن.

ويذكر المؤرخ «نيلس» أنه تم قتل جميع المسلمين في مدينة باتراس وفي قرية مونامفاسا وغيرها من قرى المسلمين، وطبقاً لـ«وليام س. ت. كلير»، فإن الإبادة في بيلوبونيز انتهت عندما لم يبقَ تركي مسلم يقتلونه.

- مجزرة نافرين:

أسفرت مجزرة نافرين التي ارتكبت بحق المسلمين في أغسطس 1821م عن مقتل سكان مدينة نافرين البالغ عددهم 30 ألفاً ما عدا 160 منهم تمكنوا من الهرب، وذلك على أيدي اليونانيين رغم الاتفاق على تهجير شعب نافرين إلى مصر.

ولاحظ المؤرخ «جورج فينلاي» أن قسّاً يونانياً يدعى «فراتنزيس» كان شاهد عيان للمذابح، وقد كتب واصفاً المجزرة: «الأمهات تم تجريدهن من ملابسهن، (فاندفعن للبحر) حيث غرقن لإخفاء أنفسهن من العار وهن يحملن أطفالهن الذين غرقوا هم أيضاً، ومع ذلك انهال عليهن القناصون اللاإنسانيون بالبنادق، واستولى اليونانيون على بعض الرضع من بين أمهاتهم وحطموا رؤوسهم في الصخور، وتم إلقاء الأطفال، الذين تتراوح أعمارهم بين 3 و4 سنوات في البحر وتركوهم ليغرقوا، وعندما انتهت المجزرة، جرفت الجثث إلى الشاطئ لتنتشر الأوبئة»!

- مذابح جزر بحر إيجة:

تم ذبح المسلمين الموجودين في جزر بحر إيجة من قبل اليونانيين، ففي مارس 1821م، أعد اليونانيون هجوماً على جزيرة خيوس، وقتلوا المسلمين هناك، وقاموا بمهاجمة السفن التركية التجارية المارة من المنطقة والسفن الوافدة والمتجهة إلى الحج، وقتلوا المسافرين والبحّارة، وقد أوضح «ثيدروس كولوكرنس» أنه تم قتل أكثر من 90 مسلماً في جزيرة هيدرا، وتم قتل كامل المسلمين الموجودين بالجزر والسفن التي ظفروا بها.

ثانياً: المذابح في النصف الأول من القرن العشرين:

المذابح سياسة دائمة وإستراتيجية ثابتة لليونان؛ ففي الحرب العالمية الأولى التي استغلتها اليونان لمواصلة التوسع والتطهير العرقي للمسلمين، جاء البروفيسور «أرنولد توينبي»، المؤرخ الشهير، مراسلاً ومحللاً لصحيفة «الجارديان»، وكان يحمل لقب أستاذ في اللغة البيزنطية واليونانية الحديثة، والأدب والتاريخ في جامعة لندن، ولم يكن «توينبي» صديقاً للأتراك في أثناء الحرب،

خلال حرب الاستقلال أعلنت بعض المناطق اليونانية قضاءها على جميع المسلمين بها

«نيلس»: قُتل جميع المسلمين في باتراس ومونامفاسا وغيرهما من قرى المسلمين

وتوقع أن يرى أعمالاً نبيلة من اليونانيين ورديئة من الأتراك، لكنه بعد أن اطلع على مجازر يالوفا وكيملك، وحقق بعد ذلك في التدمير المتواصل في إزمير، استنتج أن الحكومة اليونانية هي التي خططت لمجازر الأتراك وطردهم.

- إبادة عرقية برعاية أوروبية:

وقد تحدث «توينبي» بعد زيارته غرب الأناضول، من يونيو إلى أغسطس 1921م، عن «حرب إبادة يونانية»، وكتب عن الدمار في المناطق المحتلة من قبل اليونانيين، بين 16 مايو و10 يوليو، ذاكراً أن سكان 16 قرية في ناحية أخيسار قد ذبحوا، بالإضافة إلى سكان 25 – 30 قرية في ناحية سوغندير، وسكان 14 قرية في منطقة أيدين، ثم عدّد القرى التي نهبت فقط، لكن من غير المؤكد ما إذا كان سكانها قد سلموا من ذلك العذاب الذي أصاب الآخرين، وقد تم تدمير 82 قرية بين أكهيسار ومانيسا، و60 قرية في نواحي تاير، وبايندير، وأوديميس، و15 في منطقة يالوفا.

- مجزرة يالوفا:

وقعت مجزرة يالوفا في أبريل ومايو 1921م، حيث قام اليونانيون والأرمن بارتكاب ما لا يحصى من الفظائع ضد المسلمين في منطقة تسمى يالوفا، فأحرقوا كل قرى المنطقة (ما يقرب من 27 قرية مسلمة)، وقتلوا حوالي 10 آلاف مسلم، غير الاغتصاب والتشريد، حسب مراسل «الجارديان» آنذاك الفيلسوف الإنجليزي «توينبي».

عام 1921م قام اليونانيون والأرمن بارتكاب ما لا يحصى من الفظائع ضد المسلمين في يالوفا

ما زالت الأقلية المسلمة بتراقيا الغربية تعاني انتهاكات مستمرة وحرماناً من أقل الحقوق الإنسانية

- إبادة مسلمي شاميريا الألبان:

قام جنرال يوناني يدعى «نابليون زيرفاس» بشن حملات إبادة جماعية على سكان إقليم شاميريا الألبان، إبان الحرب العالمية الثانية، وكانت معظم مناطق الإقليم (الواقع بين ألبانيا واليونان) قد سلمت إلى الأخيرة في «مؤتمر السفراء» عام 1913م، والتقديرات الدولية للمغدورين تُشير إلى مقتل 5 آلاف من سكان الإقليم، وتهجير 35 ألفاً آخرين، بالإضافة إلى تدمير 68 قرية، وحرق 5800 بيت، وتدمير 100 مسجد أثناء حملات الإبادة اليونانية.

والآن لا يعرف عدد المسلمين في شاميريا على وجه الدقة، فالمصادر التركية عام 1910م قدرتهم بـ83 ألفاً، والإحصاء اليوناني للسكان عام 1936م قدرهم بـ26 ألفاً، ولم تعلن الحكومة اليونانية إحصاءات حديثة يمكن الاستناد إليها في معرفة أعداد المسلمين في تلك المنطقة، غير أن مصادر معتمدة تذكر أن نسبة المسلمين في اليونان عموماً تبلغ حوالي 1.5% من السكان البالغ عددهم 10.707.135 مليون نسمة.

- تراقيا الغربية.. انتهاكات مستمرة وحرمان من الحقوق الأساسية:

منذ توقيع اتفاقية التبادل السكاني قبل أكثر من 97 عاماً، ما زالت الأقلية المسلمة التي تسكن إقليم تراقيا الغربي تعاني مشكلات متنوعة وانتهاكات مستمرة وحرماناً من أقل الحقوق الإنسانية، بدءاً من استثنائهم من اتفاقية التبادل السكاني، مروراً بالانتهاكات الشديدة للحقوق الأساسية إبان فترة حكم العسكر لليونان ابتداءً من عام 1967م حتى سقوطهم في أعقاب «عملية السلام» التركية في جزيرة قبرص عام 1974م، وصولاً إلى رفض الحكومة اليونانية الاعتراف بهويتهم العرقية، فضلاً عن التدخل في شؤونهم الدينية والتعليمية.

وظلت اليونان (التي استقلت عن الدولة العثمانية في عام 1832م) بها أغلبية من المسلمين حتى بداية القرن العشرين، وكان من المستحيل تغيير التركيبة السكانية لليونان لتصبح ذات أغلبية مسيحية أرثوذكسية إلا بحركة تهجير وتبادل سكانية تجمع شتات اليونانيين من أنحاء العالم، وتتخلص من الأغلبية السكانية المسلمة.

والتبادل السكاني خطة فكر بها رئيس الوزراء اليوناني «إلفثيريوس فينيزيلوس»، حتى قبل الحرب العالمية الأولى، وقدمها في رسالة إلى عصبة الأمم، في 16 أكتوبر 1922م، اقترح «فينيزيلوس» «التبادل الإلزامي للسكان اليونانيين والأتراك»، وطلب من «فريتيوف نانسين» اتخاذ الترتيبات اللازمة، وقد أبرمت اتفاقية التبادل السكاني بين اليونان وتركيا في لوزان بسويسرا، في 30 يناير 1923م، وشملت ما لا يقل عن 1.6 مليون شخص (1221489 أرثوذكسياً يونانياً من آسيا الصغرى (الأناضول)، وتراقيا الشرقية، وجبال بونتيك، والقوقاز، وحوالي 400 ألف مسلم من اليونان)، معظمهم أُجبروا على اللجوء قسرياً ونزعت جنسيات أوطانهم عنهم بحكم القانون.

وهكذا حقق اليونانيون المتعصبون حلمهم في تحويل اليونان لدولة أرثوذكسية شبه خالصة، وتوالت الخطط اليونانية لتحويل اليونان لدولة مسيحية أرثوذكسية خالصة.

إلغاء الشريعة الإسلاميّة:

في 9 يناير 2018م، ألغى البرلمان اليوناني النظام الخاص بالمسلمين الذي يعتبر الشريعة الإسلامية مرجعاً للفصل في شؤون الطلاق والزواج والإرث بين المسلمين بالبلاد، ووفق القانون الجديد؛ أصبحت المحاكم المدنية صاحبة الصفة لتسوية شؤون الزواج والطلاق والإرث للمسلمين، وأصبح اللجوء إلى الشريعة الإسلامية كمرجع لحل مسائل الأحوال الشخصية غير ممكن إلا في حال موافقة كل الأطراف المعنيّة.

وبهذا ألغت اليونان الامتياز الخاص بالمسلمين البالغ من العُمر حوالي 100 عام، وهو يرجع إلى فترة عقد معاهدة لوزان عام 1923م، التي رسمت الحدود بين اليونان وتركيا الجديدة المنبثقة عن السلطنة العثمانية، وفي تلك الفترة وافقت السلطات اليونانية على أن تكون شؤون الزواج والطلاق والإرث لدى الأقلية المسلمة حصراً بأيدي مفتين.

وتضمن معاهدة أثينا الموقَّعة بين اليونان والدولة العثمانية عام 1913م، التي أدخلتها اليونان حيز التنفيذ منذ عام 1920م، عدم التدخُّل في الشؤون الدينية للأقلية المسلمة في تراقيا، بالإضافة إلى ضمان حرية اختيار الجالية المسلمة (ذات الأغلبية التركية) في اليونان للمفتين، إلا أنه منذ عام 1991م ألغت اليونان العمل بالاتفاقية بشكل ينتهك القانون الدولي، وبدأت بنفسها بشكل غير قانوني تعيّن المفتين.

وقد رفض غالبية الأتراك المسلمين الاعتراف بالمفتين الذين عيّنتهم اليونان، وبدؤوا انتخاب مفتيهم الخاصين؛ الأمر الذي لم تقابله اليونان بالرفض فقط، بل تجاوزته إلى حد محاكمة المفتين المنتخَبين وتعريضهم

اليونان ألغت الامتياز الخاص بالمسلمين وأصبحت المحاكم المدنية صاحبة الصفة بشؤون الزواج والطلاق والإرث

لمجموعة من العقوبات التعسفية.

ففي منتصف يونيو 2021م، أصدرت محكمة يونانية حكماً بالسجن لمدة 15 شهراً بحقّ «أحمد مته»، مفتي مدينة إسكتشا بمنطقة تراقيا الغربية شمال شرقي اليونان، بسبب خطاب ألقاه في مؤتمر لحزب «الصداقة والمساواة والسلام» منذ عام 2016م، وقد صرح «مته» بأن «الدولة اليونانية حرمت دار الإفتاء من حقها في ترميم وتجديد المساجد، كما عمدت إلى إجبار الأئمة على رفع الأذان بصوت منخفض، وفرض بعض الشخصيات غير المنتخَبة على المؤسسات التابعة لدار الإفتاء».

التعليم ومشكلات أخرى

التعليم من أبرز المشكلات التي تعاني منها الأقلية المسلمة في اليونان، فعلى الرغم من توقيع اتفاقية للتعليم بين تركيا واليونان عام 1951م، فإن المسلمين في تراقيا الغربية وبعض الجزر الرئيسة يواجهون مشكلات مفتعَلة من الحكومة اليونانية، تجعل محاولاتهم لترميم المدارس الحالية وفتح مدارس وحضانات أطفال تدرّس باللغتين التركية واليونانية أمراً صعباً للغاية، فضلاً عن إغلاق الحكومة اليونانية عديداً من المدارس التركية في السنوات الأخيرة بحجة انخفاض معدل التسجيل.

وإلى جانب التعليم، تواجه الأقلية التركية مشكلات خطيرة أخرى، تتمثل في سلب الحكومة اليونانية حق التمثيل الديمقراطي للمسلمين اليونانيين، فمن أجل منع انتخاب نواب مستقلين من الأقلية المسلمة، حددت اليونان عام 1993م العتبة الانتخابية لدخول البرلمان اليوناني بنسبة 3%، سواء للأحزاب السياسية أو المرشحين المستقلين، وذلك لإجبار المرشحين المسلمين على دخول الأحزاب السياسية اليونانية الرئيسة الأخرى.

وقد حُرم نحو 60 ألفاً من مسلمي تراقيا الغربية وبعض الجزر اليونانية من جنسيتهم اليونانية، بموجب المادة (19) من قانون المواطنة اليونانية الذي سُنّ عام 1955م، فضلاً عن عدم السماح ببناء مساجد في المدن اليونانية الرئيسة، رغم عيش مئات الآلاف من المسلمين فيها، ورغم مطالبتهم المتكررة بوجود مساجد للمسلمين هناك.

عشرات الآلاف بلا مساجد ولا مقابر:

في العاصمة اليونانية أثينا التي يسكنها عشرات الآلاف من المسلمين، لا يوجد إلا مسجد واحد تم افتتاحه في أواخر العام الماضي (2020م) يسع 350 رجلاً و50 امرأة فقط، وكذلك لا توجد مقابر للمسلمين ويضطر المسلمون لنقل موتاهم إلى مدينة كوموتيني (شمال شرق اليونان) على بعد نحو 750 كيلومتراً من أثينا، حيث توجد مقبرة للمسلمين.

محنة الكريتيين:

مثل اليونان كان غالبية السكان في جزيرة كريت التي تسمى «إقريطش» باللغة العربية من المسلمين؛ مسلمين يونانيين، لحماً ودماً، ولكنهم أرغموا على الرحيل فقط لكونهم مسلمين، بعد ما سُمي بالاستقلال اليوناني، ففُتن المسلمون اليونانيون في دينهم، وكانوا يُخيَّرون بين التخلي عن دينهم أو القتل أو التهجير، فاختار أغلبهم هجرة أرض الآباء والأجداد، واختار بعضهم اعتناق النصرانية، وظل بعضهم قابضاً على دينه محتفظاً بأرضه.

يقول شكيب أرسلان، في كتاب «تاريخ بن خلدون»: «في عام 1898م، ومع إعلان دولة كريت، قام اليونانيون الأرثوذكس بتهجير مسلمي الجزيرة الذين قُدر عددهم (آنذاك) بحوالي 450 ألف مسلم من جزيرة كريت؛ فكانت برقة الملجأ لبعضهم وربما أقام بها ما يقرب من ألف أسرة مسلمة، وانصهروا مع السكان بصفتهم مسلمين وما زالوا يحتفظون بأسمائهم الكريتية حتى الآن واستقروا في بنغازي ودرنة وسوسة وشحات وغيرها من مدن برقة».

تشرد الكريتيون اليونانيون المسلمون، وهم الآن بالملايين، في تركيا وسورية ولبنان ومصر وليبيا وتونس، ولكنهم ما زالوا يذكرون موطنهم الأصلي، ويحنون إليه، بعضهم ما زال يتحدث لغة الأجداد، وبعضهم تواصل مع أقارب له احتفظوا بالدين الذي ورثوه، فظلوا في أرض الأجداد، يقول تحسين علي الكريدلي، في كتابه «جزيرة كريت في التاريخ العربي والإسلامي»: «أنا شخصياً منذ نعومة أظفاري أعلم أن الاسم الأصلي لعائلتي هو «فانورياكي»، وبأنها ذات أصول مسيحية من مدينة خانيا، وأنهم استمروا بعد إسلامهم على صلة وثيقة من التعايش بوئام وتسامح ومحبة مع أبناء أقربائهم الذين بقوا على الدين الذي ورثوه عن آبائهم، واستمروا على هذه الحال إلى أن تم إجلاء الأتراك عن جزيرة كريت من قبل الإنجليز وحلفائهم الذين راحوا ينحازون ضدهم ويعملون على تأجيج العداوة بينهم وبين إخوانهم في المواطنة الذين ربما يكونون من أبناء عمومتهم؛ مما أدى لانحراف بعض المتزمتين وانقادوا وراء هذه الفتنة المدمرة، وهذا الأمر كان من أسباب اضطرار أجدادنا لهجرة أرض آبائهم وأجدادهم، بالطبع لقد تقطعت بنا السبل بعد هجرتنا لأرض الآباء والأجداد، وبدأنا بعد تطور أجهزة الاتصال والتواصل الحديثة في فترة متأخرة في البحث عن بعضنا بعضاً».

لكن الكريدلي لم ييأس، واستطاع أن يصل إلى أقاربه من الذين احتفظوا بديانتهم المسيحية وهم بالعشرات، بل استطاع أن يصل لجد العائلة الأكبر وهو شاب يوناني مسيحي هاجر إلى كريت وتزوج من فتاة كريتية يونانية مسيحية، وأنجب 4 أبناء اعتنق اثنان منهم الإسلام، وانقسمت العائلة لفرعين؛ فرع مسلم وآخر مسيحي تعايشا في سلام ووئام حتى سقطت كريت واليونان في قبضة التعصب والإرهاب الأرثوذكسي، بعد استقلال اليونان.■

www.mugtama.com

الاستعمار الناعم..

كيف تغزو الصين قلبَ القارة الأفريقية؟

«الصين ليست مجرد لاعب كبير، بل هي أقوى لاعب في العالم»، هذا ما قاله «لي كوان يو»، مؤسس سنغافورة الحديثة، قبل وفاته، والآن تُثبت الصين كل يوم مدى صدق هذه المقولة؛ حيث يقترب التنينُ الصيني من حلم الإمبراطورية.

وكانت أهم دعائم هذه الإمبراطورية الواعدة هي وضع يديها على مناطق خصبة وغنية بالموارد الطبيعية، ودخول أسواق استثمارية تَعِدُها بالهيمنة الاقتصادية، مناطق تكون موارد الطاقة بها وفيرة وشبه مجانية!

وكانت هذه هي القارة الأفريقية، التي صارت طريقاً مهماً للعملاق الآسيوي الذي يحلم بتأسيس الإمبراطورية الصينية.. فكيف غزت الصين قلب القارة السمراء؟ وهل الصين قوة مستَعمِرة أم شريك نزيه؟ وما مستقبل العلاقات الصينية الأفريقية في ظل التنافس المحموم على القارة؟ هذا ما تتناوله «المجتمع» في هذا التحقيق.

روضة علي عبدالغفار
صحفية مهتمة بالشأن الأفريقي

خلال العقود الثلاثة الأولى بعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية في عام 1949م، بدأت بكين بإقامة علاقات مع عدد كبير من الدول الأفريقية، وبحلول عام 1980م أقيمت العلاقات الدبلوماسية بين الصين و45 دولة أفريقية، وتزامنت هذه الفترة مع وقت حاربت فيه الدول الأفريقية ضد القوى الاستعمارية من أجل استقلالها، وقد دعمتهم الصين وساعدتهم على تنمية اقتصادهم وتعزيز استقلالهم.

وفي غضون ذلك، أيد العديد من الدول الأفريقية الصين في جهودها لاستعادة مقعدها القانوني في الأمم المتحدة؛ ففي أكتوبر 1971م، استعادت جمهورية الصين الشعبية مقعدها في الأمم المتحدة بأغلبية ساحقة، بمعدل 78 صوتاً بالموافقة، منها 26 صوتاً من قِبل الدول الأفريقية.

كما كانَت قضية تايوان عاملاً رئيساً في العلاقات الثنائية بين الصين والدول الأفريقية؛ فلم تَكف بكين عن التأكيد مراراً على مبدأ «صين واحدة»، وهو الشرط الأساسي لسياسة جمهورية الصين الشعبية لإقامة وتطوير العلاقات مع أي دولة، وعلى أساسه قطعت دول أفريقية عديدة علاقاتها مع تايوان، وأقامت علاقات دبلوماسية مع بكين.

بالإضافة إلى هذا الدعم السياسي المتبادل، يكتسب التعاون الاقتصادي بين الصين وأفريقيا زخماً منذ أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات، عندما بدأت الصين عهد الإصلاح والانفتاح؛ فكانت البداية عندما قامت الصين بتمويل وبناء خط سكة حديد تنزانيا زامبيا، في الفترة من عام 1970 إلى 1976م، الذي يمتد من دار السلام التنزانية إلى نيو كابيري مبوشي في وسط زامبيا، ويُنظر إليه على أنه نُصب تذكاري للصداقة بين الصين وأفريقيا.

وقد أدى إطلاق آلية «منتدى التعاون الصيني الأفريقي» في عام 2000م إلى تسريع التعاون في مختلف المجالات، ونما حجم التجارة بين الصين وأفريقيا من 765 مليون دولار في عام 1978م، إلى 170 مليار دولار في عام 2017م، بزيادة أكثر من 200 مرة.

فاستثمرت نحو 3 آلاف شركة صينية في أفريقيا، في مشاريع النقل والكهرباء والاتصالات، والمجمعات الصناعية، ومراكز التكنولوجيا الزراعية، وإمدادات المياه والمدارس والمستشفيات.

وفي عام 2015م، أعلنت الصين عن 10 خطط رئيسة للتعاون الصيني الأفريقي لمساعدة القارة على تسريع التصنيع والتحديث الزراعي، وفي عام 2017م تم افتتاح خط سكة حديد ممول من الصين لربط بلدتي نيروبي ومومباسا؛ مما أدى إلى تقليل وقت السفر بين أكبر مدينتين في كينيا بمقدار النصف، وخلق 46 ألف فرصة عمل.

علاوة على ذلك؛ يتشكل طريق الحرير

www.mugtama.com

الجديد تحت مبادرة الحزام والطريق التي اقترحها الرئيس الصيني «شي جين بينغ» في عام 2013م، الذي يهدف إلى بناء شبكات التجارة والبنية التحتية التي تربط آسيا بأوروبا وأفريقيا، مما يضخ زخماً جديداً للتعاون الثنائي.

ماذا تريد الصين؟

إن إدراك الصين لأهمية القارة الأفريقية ينبعُ من منطلقات اقتصادية، باعتبار أنها تعد من أكبر الأسواق الواعدة والصاعدة في العالم، ولمزاحمة الولايات المتحدة الأمريكية والغرب المتواجدين في الساحة الأفريقية منذ أمد.

ارتبط نموذج العلاقات الصينية الأفريقية بنوع خاص من الاعتماد المتبادل على نوعين بعينهما من الاحتياجات؛ كانت الطاقة على رأس حاجات الصين الصاعدة في التسعينيات، وكانت البنية التحتية المُدمَّرة من أثر الحروب الأهلية وحروب التحرير ضمن الاحتياجات الرئيسة للقارة السمراء، ووجد كلاهما في الآخر وسيلة لتلبية حاجاته؛ ما جعل المنفعة المتبادلة هي أساس تلك العلاقات في بداياتها، كما تُكرِّر الصين دوماً.

في حواره مع «المجتمع» قال الأكاديمي الأفروسطي المهتم بالشأن الأفريقي، محمد زكريا فضل: إن كثيراً من الدول الأفريقية تتمتع بموارد طبيعية هائلة تُعْتَبر مصدراً أساسياً للطاقة والصناعات التكنولوجية المتقدمة، لكنها تفتقر لأدوات ومؤهلات تمكنها من استثمار تلك الموارد، بينما تمتلك الدول المتقدمة ومنها الصين تكنولوجيا حديثة؛ لكنها تفتقر إلى الموارد الطبيعية لتحقيق نموها والحفاظ على مستوى الرفاهية التي وصلت إليه، وهذا سر توجه أنظار الصين نحو القارة الأفريقية.

ويرى فضل أن القارة الأفريقية تمثل للصين هدفاً إستراتيجياً لنهضتها وفرض سيطرتها على العالم أجمع، لأن الصين تَرى أفريقيا سوقاً استهلاكية واعدة لشركاتها الإنتاجية والخدمية، فضلاً عن كونها مصدراً للطاقة ومخزناً لموارد طبيعية لا يمكن الاستغناء عنها، وكثير من القادة الأفارقة يرون أن الصين هي الشريك الذي لا يحمل طموحات استعمارية.

عام 2015 م أعلنت الصين عن 10 خطط لمساعدة أفريقيا على تسريع التصنيع والتحديث الزراعي

تأثير بكين الأكبر كان عن طريق مجموعة ضخمة من منح تعليمية للطلاب الأفارقة في الصين

بينما يعتقد الأكاديمي والكاتب النيجيري المتخصص في الشأن الأفريقي، د. حكيم نجم الدين، أن الخطوات التي تتبعها الصين في أفريقيا تختلف وفق مكانة كل دولة أفريقية لدى الصين، لكن الصفة العامة لدوافعها بالقارة هو تنمية صناعاتها على الطاقة، وبالتالي هي بحاجة إلى مواد خام لأسواقها، وبحاجة إلى الدعم الأفريقي في المنظمات الدولية لخطواتها وإستراتيجياتها، وخلق حلفاء من القارة لتعزيز المصالح الصينية ومواجهة الولايات المتحدة إذا تطلب الأمر ذلك.

تريد الصين من أفريقيا شريكاً دولياً يُعتمد عليه، وتحتاج الموارد الأولية المتوفرة في أفريقيا وفي مقدمتها النفط، وتريد مجالاً أرحب لاستثمار فوائضها المالية الضخمة، وأسواقاً لكثير من منتجاتها، ولكنها لا تريد أن يكون لها وجود يحمل أي صفة استعمارية، وتحاول تصدير صورة الشريك الذي لا يفرض نفوذه وتوجهاته ومبادئه، ولهذا فإن الادعاءات الغربية بأن الصين تمارس استعماراً جديداً في أفريقيا، لم تفلح في أن تجد من يسمع لها في أفريقيا.

الاختراق الناجح

اعتمدت الصين لدخول القارة السمراء على تغليب لغة المصلحة المتبادلة والاحترام والمساواة، دون التدخل في شؤون الآخرين، ويتجلى ذلك في القروض الميسّرة، والاستثمارات دون شروط، إضافة للمساعدات الجزيلة، ومنذ عام 2000م أصبحت الصين المنافس والشريك الذي يلي أمريكا وفرنسا في القارة الأفريقية، لما تتمتع به من قوة اقتصادية هائلة.

يقول الأكاديمي محمد زكريا فضل: إن العلاقات الصينية الأفريقية علاقات قديمة نسبياً، منذ مؤتمر باندونغ في إندونيسيا عام 1955م وما لحقه من فعاليات ولقاءات ثنائية متعددة الأغراض؛ التي ما زالت مستمرة حتى الآن، وعلى إثر ذلك قدمت الصين لكثير من الدول الأفريقية مساعدات غير مشروطة مدعومة، بخلاف المساعدات التي تقدمها الدول الغربية للقارة الأفريقية مثل برامج المساعدات الخارجية التي تقدمها أمريكا ضمن إستراتيجيات محددة.

ويوضح فضل أن الإستراتيجية الغربية تتمثل في وضع شروط للمساعدات والقروض، لإخضاع الحكومات للأعراف الدولية المرتبطة بالحوكمة الرشيدة، واحترام حقوق الإنسان، والالتزام بمعايير البيئة العالمية وإرساء حكم القانون، ومكافحة الفساد، ويتم إيقاف هذه المساعدات عند الإخلال بشرط من الشروط.

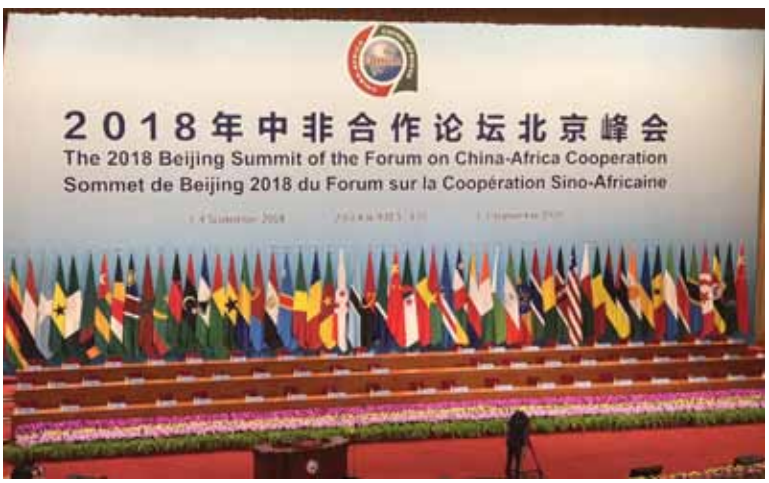

بينما تشمل المساعدات التي تقدمها الصين للدول الأفريقية مساعدات مادية وقروضاً غير مشروطة من أجل تنمية البنى التحتية، وتطوير الموارد البشرية، والرعاية الطبية، وتوجيه القطاع الخاص الصيني للاستثمار في الزراعة الأفريقية، فضلاً عن التبادل التجاري والعلاقات الثنائية، بحسب فضل.

كان تأثير بكين الأكبر في صورتها الإيجابية عن طريق مجموعة ضخمة من منح تعليمية للطلاب الأفارقة في الصين، وبحزمة من برامج تدريبية تمزج ما بين تدريب الساسة الشباب والمسؤولين الحكوميين، وتحقيق أهداف بكين في نشر ثقافتها وتاريخها إلى قلب القارة السمراء.

كان الهدف الرئيس من نشأة برامج التدريب الصينية الدولية منذ السبعينيات، وخاصة لأجل السياسيين والعسكريين الأفارقة، هو تصدير مبادئ الثورة الصينية الشيوعية للعالم، ويمكن القول: إن بكين لم تعد بحاجة إلى تخصيص برامج التدريب للدعاية لنفسها في أفريقيا، بل أصبحت تكتفي بإبهار القادمين من دولهم النامية بكل ما حقّقته من تقدُّم صناعي وتكنولوجي وطفرة اقتصادية لا يُدرك الزائرون طريقاً للوصول إليها إلا باتباع طريق الصين المفتوح على مصراعيه.

لكن لم تمنع هذه الحقيقة بكين من مواصلة الاستثمار في تربية العناصر السياسية الشابة في الدول المقصودة ورعايتهم، بما يمنحهم بعد ذلك فرصة لأن يُصبحوا هم أنفسهم قادة هذه الدول في يوم من الأيام.

ويُعَدُّ المثال الأبرز حالياً لرجال الصين في أفريقيا هو «إيمرسون مانانغوا»، رئيس زيمبابوي القادم بانقلاب عسكري يُزعم تورُّط الصين فيه، إثر زيارة للصين قام بها القائد العام للجيش الوطني الزيمبابوي، الجنرال «كونستانتينو شيوينغا»، قبل أيام فقط من الانقلاب، ويُعتقد أنه نال فيها موافقة الصين على التحرُّك للإطاحة بالرئيس الراحل «روبرت موغابي».

صداقة طويلة تربط قائد الجيش الزيمبابوي بالرئيس الحالي ونائب الرئيس الأسبق «مانانغوا»، لكن الأخير كان قد نال

تدريباته العسكرية في الصين خلال الحرب الأهلية في زيمبابوي في الستينيات، وعاد بعدها لارتكاب جرائم قتل وتعذيب ضد الآلاف من أبناء وطنه خلال الحرب.

تَعتَبر الولايات المتحدة والغرب عامة علاقة الصين بأفريقيا شكلاً جديداً من أشكال الاستعمار؛ طالما استغلَّت فيه الصين موارد أفريقيا من المعادن والطاقة لصالح دفع نموها الاقتصادي بطريقة أسرع.

بينما ترى الصين أنها علاقة فوز متبادل لكلا الطرفين، ففي حين تنال الصين ما تحتاج إليه من المعادن وموارد الطاقة، تنال أفريقيا مليارات الدولارات في شكل قروض ومشاريع تنموية وبنية تحتية واستثمارات تدفعها نحو تحقيق نموها الذاتي المتأخر منذ زمن طويل.

وبين الاتهامات الموجهة للصين باستعمار

الحكومات الأفريقية المستفيد الأكبر من مشاريع الصين غير المُعلَنة نتيجة لحجم الفساد المُتضخِّم

فضل: الصين تَرى أفريقيا سوقاً استهلاكية واعدة لشركاتها فضلاً عن كونها مصدراً للطاقة

أفريقيا، ودفاع الصين عن نفسها بأنها شريك في القارة، لم تكن أفريقيا بحاجة إلى مَن يُخبرها بالبقاء بعيداً عن الاستثمار مع الصين، ليس فقط للمنافع التي حصَّلتها بالفعل خلال السنوات الماضية، بل لأن الصين -وعلى عكس الغرب- لم تكن تُخبر أفريقيا بما تحتاج إليه، بل تلتزم بسياسات متبادلة من عدم التدخُّل مقابل الاكتفاء بالمنافع الاقتصادية القائمة بالفعل.

في هذا الصدد، يرى الأكاديمي محمد زكريا فضل أنه رغم إعراب القوى الغربية عن قلقها من استغلال الصين للدول الأفريقية لتحقيق مصالح شخصية ومكاسب سياسية على حساب العلاقات المعلنة، فإن الصين تنفي هذه الاتهامات وتتعمد أن تُظهر نفسها دائماً بالشريك الإستراتيجي للقارة، ويضيف فضل أن العلاقات الصينية الأفريقية تعتمد على مبدأ الشراكة وإن لم تكن كفتا التعاون متساويتين، إلا أنها تبدو أفضل من علاقات القارة الأفريقية مع حلفائها التاريخيين.

في حين، قال الأكاديمي النيجيري د. حكيم نجم الدين، في حواره مع «المجتمع»، أنه لا يمكن الجزم بأن الصين لها دوافع استعمارية؛ لأن بعض الدول الأفريقية قد تمكّنت من استثمار علاقتها مع الصين لصالحها من حيث البنى التحتية ورفع كفاءتها، بينما هناك دول أخرى وجدت نفسها أمام ديون متراكمة دون عوائد ملحوظة للمصلحة العامة.

وأضاف نجم الدين أن هناك الكثيرين

ينظرون إلى علاقة الصين ببلادهم أنها علاقة مثمرة ولو نسبياً، لما نتج عنها من شبكات طرق جديدة، ومطارات وسكك حديدية وغيرها من المشاريع، التي ترجح كفة الصين على غيرها بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة.

رغم علاقة الشراكة التي تحتفي بها الصين مع أفريقيا، فإن أصابع الاتهام توجَّه إلى بكين في عدة ملفات، تجعل علاقتها بأفريقيا محاطة بعلامات استفهام، أحد هذه الانتقادات يتمثل في التدريبات السياسية المجانية التي تمنحها الصين لرجالها الأفارقة؛ مَن يُصبحون فيما بعد أعمدة لاستثماراتها، كما أن استثماراتها تأتي على الأغلب في صورة تعاقدات حكومية تحيطها السرية؛ ما يعني انعدام القدرة على احتساب حجم المزايا والفائدة المفترض حدوثها من عدمه.

ويأتي انتقاد آخر هو أن الاستثمارات الصينية غالباً ما تأتي بعمالة صينية كاملة للعمل في مشاريعها والإشراف المباشر عليها؛ ما يعني ندرة فرص العمل المحلية التي تُوفِّرها هذه الاستثمارات للأفارقة، أما الانتقاد الثالث فيدور حول كون الحكومات الأفريقية هي المستفيد الأكبر من مشاريع الصين غير المُعلَنة، نتيجة لحجم الفساد المُتضخِّم بالقارة.

كما توجهت اتهامات لبكين بإقامة علاقات قوية مع الدول الغنية بموارد الطاقة دوناً عن بقية أنحاء القارة، مثل زيمبابوي والكونغو ونيجيريا وجنوب السودان، ورغم دفاع بكين عن نفسها عملياً؛ بإقامة علاقات مع إثيوبيا وكينيا وأوغندا وقائمة طويلة أخرى من دول تُعَدُّ فقيرة، فإن هذا لم يمنع استمرار الاتهامات للصين بإساءة استغلال علاقاتها الأفريقية.

إلى أين؟

رغم العلاقة الجيدة بين الصين وأفريقيا، فإن الأمر لا يخلو من المخاوف والشكوك التي تحيط بهذه العلاقة، وتبرز عدة سيناريوهات مستقبلية للعلاقات الصينية الأفريقية.

يأتي السيناريو الأول بازدهار العلاقات الصينية الأفريقية، حيث تتميز الصين بأنها تنتهج إستراتيجية مسالمة على المستوى الدولي؛ فمن أهدافها الأساسية صيانة السلم والأمن الدوليين، وتعزيز العلاقات

الهدف الرئيس من برامج التدريب الصينية الدولية منذ السبعينيات تصدير مبادئ الثورة الشيوعية للعالم

رغم علاقة الشراكة التي تحتفي بها الصين مع أفريقيا فأصابع الاتهام توجَّه لبكين في عدة ملفات

الاقتصادية المشتركة، وتهدف الصين بشكلٍ أساسي لجعل العالم متعدِّد الأقطاب بدلاً من هيمنة القطب الأوحد على العالم، وبناءً عليه فإن من المرجح أن تكون العلاقة في تطوُّر مستمر.

أما السيناريو الثاني، فهو تعقُّد العلاقة بين الصين والقارة السمراء، فرغم التعاون بين الصين وأفريقيا في شتَّى المجالات، فهناك بعض المخاوف التي تساور عقول الأفارقة بأنه من الممكن أن يكون فخّاً للديون، وتضطر الدول الأفريقية فيما بعد للتخلي عن سيادتها أو جزء منها للدولة الصينية.

وذلك مثل ما حدث مع دولة سريلانكا؛ حيث كانت الدولة الصينية خير داعم لها بعد انتهاء الحرب الأهلية بها، لكي تتمكن من إعادة بناء البنية التحتية الخاصة بها، لكن عانت الدولة بعد ذلك من تفاقم الديون الخارجية ولم تستطع تسديدها، لذلك اضطرت للتخلي عن جزء من سيادتها، وتخلت عن ميناء «هامبانتوتا»، ونظراً لهذا القلق الأفريقي من الصين، يمكن أن يحدث تراجع للعلاقات الصينية الأفريقية مستقبلاً.

يعتقد الأكاديمي محمد زكريا فضل أن النهج الغربي في إرساء العلاقات مع الدول الأفريقية المتّبع حالياً بجميع أشكاله يدفع بكثير من دول القارة إلى الارتماء في أحضان الصين وغيرها من الدول الكبرى التي تقدم نموذجاً مختلفاً.

وبناءً عليه، يرى فضل أن العلاقات بين الصين والدول الأفريقية ستشهد تطورات إيجابية في ظل التنافس القوي بين الصين وأمريكا؛ لأن مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول أصبح يجتذب الكثير من القادة السياسيين، خاصة الجيل الناشئ الذي أصبح يفكر في الشريك الإستراتيجي البديل للنموذج الغربي السائد.

ويؤكد فضل أن التوغل المتسارع للصين في أكثر من دولة أفريقية، والانتشار الصّامت في القطاعات الحيوية والحساسة مثل مناجم الطاقة والمعادن الثمينة، بالإضافة إلى الانخراط في مشاريع البنى التحتية، هذا كله يتيح للصين أن تقوي علاقاتها مع صناع القرار.

ويتوقع د. حكيم نجم الدين أن العلاقة بين الصين وأفريقيا لن تشهد تراجعاً في الوقت الحالي لعدة اعتبارات؛ إذ لمحتْ الصين في الأشهر الأخيرة أن حاجتها للمواد الخام في تزايد، رغم تراجع حاجتها للنفط من بعض الدول الأفريقية بسبب تداعيات جائحة «كورونا»، ويضيف نجم الدين أنه من الملاحظ أن الصين تستثمر فجوة لقاحات «كورونا» لصالحها بتوفير نسبة من اللقاحات لمختلف دول القارة عندما أدارت أوروبا ظهرها عنها، وهناك توقعات بأن تصبح الصين المصدر الرئيس للقاحات للدول الأفريقية.

ويذهب نجم الدين إلى أن آخر التطورات في أفغانستان قد تكون فرصة للصين لتسويق نفسها، في النسخة القادمة من قمة الصين وأفريقيا، كحليف موثوق أكثر من الولايات المتحدة الأمريكية، ويؤكد نجم الدين أن عام 2021م يشهد توطيد العلاقات بين أفريقيا والصين، رغم قصور هذه العلاقة وتحدياتها، وهي ليست أفضل الخيارات ولكنها حتى الآن تقدّم نتائج ملموسة ومرئية أكثر من غيرها.

وختاماً، فإن التجربة الصينية مع أفريقيا تؤصل لإستراتيجية القوة الناعمة، فالصين لا تملك أهدافاً اقتصادية بحتة، بل هي منافَسَة اقتصادية لها أبعاد عسكرية وأيديولوجية، تتبناها الصين الشيوعية، وتنفذها بذكاء وصمت، فكما قال المُنَظِّر العسكري الصيني الشهير «صن تزو»: «خوض مائة حرب ليس بالقرار الحكيم، حتى لو انتصرت فيها جميعاً، لكن الحكمة تكمن في كسر مقاومة العدو دون قتال»، فهل تنجح هذه الإستراتيجية وتنقلب موازين القوى؟■

www.mugtama.com

اقتصاد إسلامي

د. أشرف دوابه

أستاذ التمويل والاقتصاد بجامعة إسطنبول صباح زعيم

المقاصد الاقتصادية الإسلامية (3)

التنمية الاقتصادية.. والاجتماعية

بعد أن تناولنا في المقالين السابقين مقصدين من المقاصد الاقتصادية للإسلام، وهما: مقصد الاستخلاف، ومقصد حفظ المال وتنميته، نتناول في هذا المقال، مقصدين آخرين، وهما: مقصد التنمية الاقتصادية، ومقصد التنمية الاجتماعية.

3 - مقصد التنمية الاقتصادية:

تعتبر التنمية الاقتصادية من المقاصد الكلية للاقتصاد الإسلامي؛ فإعمار الأرض تكليف شرعي لتحقيق استمرارية الحياة الطيبة، وبقدر كفاءة الاستثمارات وقدرتها على التخصيص الأمثل للموارد، وكذلك انضباط الحاجات، بقدر ما يساهم ذلك في تحقيق التنمية الاقتصادية.

ومن ثم حرص الإسلام على المواءمة بين الموارد والحاجات، وزيادة مصادر وموارد المجتمع ما أمكن، وتحقيق التوازن التنموي بين القطاعات المختلفة وكذلك بين الأقاليم المتعددة، فضلاً عن إعداد فئة من العمال المهرة، وترسيخ مفهوم الاعتماد على الذات لا التبعية للغير.

كما أنه في سبيل تحقيق مقصد التنمية الاقتصادية حث الإسلام على مراعاة الأولويات الإسلامية من ضروريات، وحاجيات، وتحسينات؛ إنتاجاً، وتوزيعاً، واستهلاكاً.

أولاً: الضروريات:

وتعني الأشياء التي لا بد منها لقيام مصالح الدين والدنيا من حفظ النفس والعقل والدين والعرض والمال، فالضروريات لازمة لقوام حياة الناس واستقامتها ولا غنى للناس عنها وإلا اختل نظام حياتهم.

ويأتي في مقدمة تلك الضروريات توجيه الأموال للاستثمار في مشروعات تحفظ للناس حياتهم وأمنهم، وتلبي أولوياتهم، كالمشروعات اللازمة لتوفير المأكل والمشرب والملبس والأمن والتعليم والصحة، فضلاً عن اعتماد أولويات الناس في استيفاء حاجتهم المعيشية والاستهلاكية على ذلك بصورة تحقق الرشادة الاقتصادية.

وأساس ذلك قول الله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿3﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ (قريش)، وروى ابن ماجة عن سلمة بن عبيدالله بن محصن الأنصاري عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أصبح منكم معافى في جسده آمناً في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا»، ويعتبر تحقيق تلك الضروريات من فروض الكفايات، التي تعمر بها الأرض، وتستكين عليها حياة الناس، والتقصير أو الإهمال فيها يعد إثماً لمخالفة ما أوجبه الله تعالى.

ثانياً: الحاجيات:

وهي التي تجعل حياة الناس أكثر يسراً وأقل عناء، فيحتاج إليها لرفع الضيق والحرج، فيمكن تحمل الحياة بدونها، ولكن بمشقة زائدة، وتوفير تلك الحاجيات يعتبر من قبيل المستحب.

ثالثاً: التحسينات أو الكماليات:

وهي التي تجعل حياة الناس أكثر رغداً ومتعة دون إسراف أو تبذير أو ترف، ويطلق عليها التحسينات؛ لأنها تشير إلى ما استحسن عادة من غير احتياج إليه، ومن أمثلتها المأكل والمشرب الطيب، والملبس الناعم، والمركب الهنيء، وغير ذلك من الأشياء التي تجعل الحياة على أحسن حال، وهي تتفق والمقاصد الشرعية في قوله صلى الله عليه وسلم: «من سعادة المرء الجار الصالح والمركب الهنيء والمسكن الواسع» (رواه أحمد)، وتوفيرها يعد من قبيل المباح.

وتبدو أهمية الالتزام بتلك الأولويات؛ إنتاجاً وتوزيعاً واستهلاكاً، مع أهمية تنويع مجالات الاستثمار من صناعة وزراعة وتجارة وخدمات، وكذلك توازن الاستثمارات بين الأقاليم، لسد الحاجات المقررة للمجتمع، حتى يكتفي المجتمع، ويستغني عن غيره.

ولا ينبغي الاهتمام بالكماليات على حساب الضروريات والحاجيات، أو الاهتمام بالسلع الاستهلاكية على حساب السلع الإنتاجية؛ لما يترتب على ذلك من خدمة شريحة أقل في المجتمع، ومن ثم ضياع جزء كبير من موارده، كان يمكن توجيهها لإنتاج السلع والخدمات التي تحتاج إليها الشريحة الكبرى فيه، التي تمثل لها ضرورة من الضروريات وحاجة من الحاجات؛ ما يؤثر سلباً على تخصيص الموارد.

4 - مقصد التنمية الاجتماعية:

التنمية الاجتماعية والتنمية الاقتصادية

وجهان لعملة واحدة، وهما من المقاصد الكلية للاقتصاد الإسلامي الذي يحرص على تحقيق الكفاءة في توزيع الدخل والثروة، وتقريب الفوارق بين طبقات المجتمع، ومعالجة مشكلة البطالة وتوفير فرص للتوظف، وتوفير المساكن الملائمة، وتحقيق الأمن النفسي والغذائي، وتوفير وسائل الصحة والتعليم.

ومن أن أهم ما يميز الاقتصاد الإسلامي تبنيه للمسؤولية الاجتماعية؛ فرسالته السامية تقتضي منه تحسس حاجات المجتمع، وتلبيتها، ومراعاة ما يعود على المجتمع من منافع، وتجنب ما يلحق به من أضرار، تطبيقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا ضرر ولا ضرار»؛ فلا مجال -مثلاً- لتحقيق الضرر في المجتمع بإقامة مشروعات تؤدي إلى تلوث المياه، أو تلوث الهواء، أو التلوث الأخلاقي، ونحو ذلك.

والإسلام كذلك يحث على التوجه بالاستثمارات نحو الأنشطة الاقتصادية التي تولد نفعاً لأكبر عدد من الفقراء والمحتاجين لرفع كفايتهم، من خلال إعطاء الأولوية للاستثمارات التي تعطي وزناً أكبر للسلع الضرورية والحاجية التي ينفق الفقراء غالب دخلهم عليها؛ ما يساهم عادة في تخفيض أسعارها، وزيادة فائض المستهلك المتولد منها، فضلاً عن إعطاء وزن أكبر للدخل الذي يولده الاستثمار ويذهب للفقراء من خلال الزكاة، وهو في الوقت نفسه يعمل على استخدام وزن مناسب من زكاة الاستثمارات لتكون أداة تمويلية إنتاجية -وليست استهلاكية فحسب- لتحفيز الاستثمار لفقراء المسلمين، من خلال توجيهها لمن يستخدمها في إقامة مشروع صغير أو حرفي يكف به وجهه عن المسألة.

إن الاقتصاد الإسلامي بمقاصده السامية يجعل الفرد حريصاً على مصلحة الجماعة، ويجعل الجماعة حريصة على كرامة الفرد، ويوفر شبكة من أدوات التنمية الاجتماعية يكمل بعضها بعضاً، وترتبط بالإيمان زيادة ونقصاً؛ فهي لا تؤتي ثمارها إلا بقوة الدافع الإيماني بالدرجة الأولى، وكلما ضعف الدافع الإيماني في المجتمع ضعف أثر هذه الأدوات؛ لأنها ثمرة التربية الإسلامية، ومن هذه الأدوات: الزكاة، وصدقات التطوع، والوقف، والقرض الحسن، والنفقات الواجبة للأولاد والزوجة والأقارب، والكفارات، والأضحية، والعارية، وضمان الدولة لحد الكفاية، وحد

في مقدمة الضروريات توجيه الأموال للاستثمار بمشروعات تحفظ للناس حياتهم وأمنهم

عدم الاهتمام بالكماليات على حساب الضروريات أو الاهتمام بالسلع الاستهلاكية على حساب الإنتاجية

الكفاية التامة للفرد ومن يعول من غير إسراف ولا تقتير.

كما تمتد يد الدولة لتحقيق التوازن الاجتماعي بين أفراد المجتمع في مستوى المعيشة عندما يختل اختلالاً كبيراً وبيّناً يجعل المال دُولَةً بين فئة دون بقية المجتمع، كما هي عليه الحال في النظام الرأسمالي، ويسلك الإسلام لتحقيق التوازن الاجتماعي مسالك شتى منها فرض الزكاة، ونظام الميراث، ووجوب تداول الثروة.

وقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على مراعاة التوازن الاجتماعي بعد هجرته للمدينة مباشرة بالإخاء بين المهاجرين -الذين تركوا متاع الدنيا بمكة وهاجروا طاعة لله ورسوله- والأنصار أهل دار الهجرة والثروة، وقد حكى القرآن الكريم عن تلك الصورة

رسالة الإسلام تقتضي تحسس حاجات المجتمع وتلبيتها ومراعاة ما يعود عليه من منافع

العدل مقصد للاقتصاد الإسلامي به تعمر الدنيا ويأمن المجتمع وتُحفظ المصالح وتُدفع الأضرار

المضيئة في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر: 9).

كما حرص النبي صلى الله عليه وسلم على مراعاة التوازن الاجتماعي بعد غزوة بني النَّضِير حيث وزَّع فيئها على المهاجرين خاصة، عدا رجلين فقيرين من الأنصار، وكان هذا بوحي من الله عز وجل، قال تعالى: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ (الحشر: 7).

وتحقيقاً للتوازن الاجتماعي يرغب الإسلام في مراعاة التوازن الاجتماعي الإقليمي من خلال مراعاة التوازن التنموي بين الأقاليم، فضلاً عن التوازن الاجتماعي بين الأجيال من خلال الموازنة بين ثروات الأجيال الحالية والقادمة؛ لأن الأجيال القادمة لها حق في ثروات الأجيال الحاضرة، فالإسلام يحث الآباء على ترك أولادهم أغنياء لا فقراء، وفي هذا روى البخاري وصية الرسول صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قائلاً: «إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس».

وقد راعى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه التوازن الاجتماعي بين الأجيال في تقسيم الأرض التي افتتحت عنوة بين المسلمين، حينما قال له معاذ رضي الله عنه: والله إذن ليكونَنَّ ما تكره؛ إنك إن قسمتها صار الرَّيْع العظيم في أيدي القوم، ثم يبيدون فيصير ذلك إلى الرجل الواحد أو المرأة، ثم يأتي من بعدهم قومٌ يسدُّون من الإسلام مسدّاً، وهم لا يجدون شيئاً، فانظر أمراً يسع أوَّلهم وآخِرَهُمْ»، فصار عمر إلى قول معاذ.

والإسلام يرجو من وراء كل ذلك تحقيق الرفاه والسعادة للفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة، من خلال التوازن بين مصلحة الفرد والمجتمع، بضمان حد الكفاية للأفراد، وتوفير السبل لإشباع كافة الحاجات الإنسانية الأساسية، وبناء وتنمية العنصر البشري الصالح الذي يعد أساس التنمية، ومن ثم تحسين مستوى الحياة على الصعيدين المادي والروحي.■

www.mugtama.com

إعداد - عبده دسوقي:
باحث في التاريخ الحديث

مصلحون رحلوا في أكتوبر..

لا شك أن موت العلماء خطب جلل ورزية عظيمة وبلاء كبير، والأشخاص كلما كان دورهم عظيماً وأثرهم كبيراً كانت المصيبة بفقدهم أشد، ولكن سلوانا أن نظل نتذكر سيرة هؤلاء العلماء والمصلحين، فنقتفي أثرهم، ونسير على خطاهم، ونتعرف على علمهم وجهدهم.

الفليج والمصري وعز الدين

د. عصام الفليج.. بين العمل الإعلامي والخيري

حينما يذكر د. عصام عبداللطيف الفليج تجيش في النفوس هذه الهمة العالية التي وهبها الله له في سد ثغر من ثغور العمل الخيري، وكان أميناً عليه حتى قضى نحبه؛ حتى إن ما كتب عنه يوم وفاته أبرز صفات وشمائل كثيرة للفليج ربما لم تكن معروفة للكثيرين.

ولد د. عصام عبداللطيف الفليج في منطقة الفيحاء بالكويت عام 1961م، وكان منذ صغره محباً للعلم والتعلم؛ حيث درس في الفيحاء ثم حصل على الثانوية من مدرسة يوسف بن عيسى، قبل أن يتخرج في الجامعة.

وطأ الفليج بقدميه معترك الحياة، فعمل أول ما عمل في المجال الصحفي بصحيفة «الأنباء» عام 1982م، ومنها إلى «القبس» و«الوطن»، ثم شاء الله تعالى أن يكون نائباً لرئيس تحرير مجلة «المجتمع» الكويتية؛ حيث كانت له أدواره الواضحة في تطوير المجلة.

كان د. الفليج، رحمه الله، كالزاد أينما حل ترك بصماته الطيبة، فقد قام بكثير من الأعمال في العديد من المجالات والأنشطة التي لم يستطع كاتب واحد أن يحصرها، وعلى رأسها العمل الإعلامي الإسلامي والخيري التطوعي؛ فكان من رواد العمل الخيري والدعوي في جمعية الإصلاح الاجتماعي بالكويت.

وقبل ذلك تولى مهمة الأمين العام المساعد في اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، كما تعددت نشاطاته من تأليف الكتب إلى إعداد وتقديم البرامج الإذاعية والتلفزيونية، إلى كتابة المقالات الصحفية الهادفة، فضلاً عن جهوده في العمل التطوعي وتوثيقه للعمل الخيري والوطني؛ فأشرف على البرنامج التلفزيوني «سفراء الخير»، الذي دعم العمل الإنساني والخيري للكويتيين، كما ترأس تحرير مجلة «سفراء الخليج»، وكان صاحب فكرة «لجنة تأهيل الخريجين لسوق العمل» في جامعة الكويت، كما شارك في تأسيس جمعية «المنابر القرآنية».

ولم يكتف د. الفليج، رحمه الله، بذلك، بل قام بتوثيق زياراته الإعلامية إلى كل من غزة المحاصَرة، والصومال، فأصدر كتابيه «غزة رأي العين»، في أبريل 2010م، و«الصومال الآمن رأي العين» في أكتوبر 2010م.

كان له جهد عظيم في أثناء الغزو العراقي للكويت؛ حيث شارك في تأسيس صندوق التكافل لرعاية أسر الشهداء والأسرى؛ وكان نائباً لرئيس الصندوق د. عبدالمحسن الجارالله الخرافي، قبل أن يصير هو رئيساً للصندوق.

تولى منصب نائب رئيس تحرير «المجتمع» وساهم في تطويرها

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل كان الفليج من أبرز الموثقين لأحداث الغزو العراقي الغاشم وبطولات المقاومة الكويتية؛ وأشرف على إصدار سلسلة «قوافل شهداء الكويت الأبرار»، وكتاب «شهداء الواجب»، وشارك في إعداد كتاب «الشهيد.. مثوبة ومكانة»، وقام بإعداد كتاب «التكافل.. تاريخ وإنجازات»، الذي يسجل فيه دور لجنة التكافل في المقاومة الشعبية.

ابتلاه الله تعالى بالمرض، فاحتسب الأمر لله وحده وصبر على ما ابتلاه، ولم يكلّ أو يملّ من العمل لدين الله ووطنه حتى فارق دنيانا عن عمر يناهز الـ59 عاماً؛ وتوفاه الله يوم الثلاثاء 11 ربيع الأول 1442هـ/ 27 أكتوبر 2020م.■

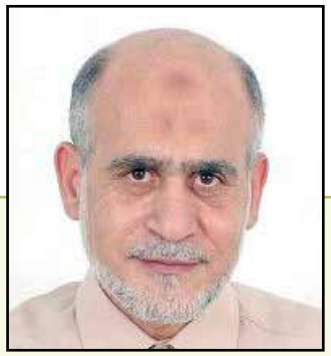

أحمد عز الدين.. القلم الحر

في مركز المنشأة بمحافظة سوهاج بصعيد مصر، ولد أحمد عز الدين أحمد محمد الغول، في 8 أكتوبر 1954م، لأسرة متدينة سعت إلى تربيته التربية الإسلامية، فالتحق بكتّاب القرية وحفظ القرآن الكريم، قبل أن يبدأ مشوار العلم في المدارس حتى تخرج في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية

www.mugtama.com

أحمد المصري.. أحد الستة مؤسسي «الإخوان»

«إنما تنجح الفكرة إذا قوي الإيمان بها، وتوفر الإخلاص في سبيلها»، بهذا الفهم حمل أحمد المصري عزم العمل لنشر الفهم الصحيح لمعنى الإسلام.

كان أحمد المصري أحد العمال الستة الذين ساهموا مع الشيخ حسن البنا في تأسيس جماعة الإخوان المسلمين بمدينة الإسماعيلية (شرق مصر) عام 1928م، ولم يجلس كثيراً بجوار البنا، لكنه حمل الفكرة وعاد إلى مدينته بورسعيد؛ فأسس أول شعبة للإخوان بها.

في مدينة بورسعيد ولد أحمد المصري عام 1910م، ولم تساعده الظروف على الالتحاق بالتعليم؛ فامتهن حرفة الحلاقة، ومع ذلك فإن طبيعة المدينة التي ترعرع فيها ولدت لديه الغيرة على وطنه ودينه وبغض الاستعمار الإنجليزي الذي كان يتمركز في مدن القنال.

كانت الإسماعيلية مقر القيادة المركزية للجيوش البريطانية، وكان بها عمال يخدمون في معسكرات الإنجليز؛ فانتقل المصري للعمل فيها، وهناك كان يحضر لمحاضرات الأستاذ حسن البنا الذي كان يلقيها في المقاهي؛ فتأثر بها، حتى اتفق مع بعض العمال الآخرين وزاروا الشيخ البنا وسمعوا منه ماذا يريد، فاقتنعوا بفكره، ومن ثم تم الإعلان عن نشأة جماعة الإخوان المسلمين.

كانت الصفات التي تحلى بها المصري بجامعة القاهرة، وامتهن مهنة الصحافة؛ لما وهبه الله من ملكات في الكتابة.

كان عز الدين من شباب الحركة الإسلامية في السبعينيات، وهو ما أهَّله للمكانة العالية وسط إخوانه منذ تخرجه؛ حيث بدأ حياته العملية عام 1977م مترجماً في الإذاعة بالنشرات حتى عام 1980م، ثم سافر للعمل مترجماً في السعودية؛ ثم عاد لمصر؛ وشق طريقه في عالم الصحافة في عدة صحف ومجلات، منها «لواء الإسلام»، وجريدة «الشعب» التي عمل بها مديراً للتحرير، ثم سافر إلى دولة الكويت عام 1997م ليتولى منصب مدير تحرير مجلة

كان أحد العمال الستة الذين ساهموا مع البنا في تأسيس «الإخوان» بالإسماعيلية

أحد الأسباب في نشر الفكرة ببورسعيد؛ فقد تميز بقوة الشخصية وإيمانه العميق وكريم بذله وتضحياته في سبيل دينه.

كان المصري قائداً محبباً للجميع؛ واستطاع أن يؤلف القلوب بحسن سيرته وخلقه، حتى إن المواقف تشهد له؛ فيذكر محمود الصباغ لأحمد المصري الفضل في مساعدة أفراد «النظام الخاص» عام 1944م في تعطيل سفينة كانت ترسو في بورسعيد، وتحمل أسلحة للعصابات الصهيونية في فلسطين ولم تستطع الإبحار بسبب التفجير.

اختاره حسن البنا لمرافقته أثناء رحلته إلى غزة عام 1947م، وكان من أبرز الذين دعموا المجاهدين في حرب فلسطين في بلدته بورسعيد.

وحينما وقعت أحداث حرب القنال عام 1951م كان على رأس الفدائيين في بورسعيد الذين كبدوا المحتل خسائر كبيرة، وحينما قامت ثورة 23 يوليو 1952م كان على رأس مجموعة بورسعيد التي كُلفت بقطع الطريق على القوات الإنجليزية القادمة من بورسعيد إذا تحركت.

تعرض للاعتقال عدة مرات؛ فاعتقل عام 1948م وزج به في سجن طور سيناء، كما أنه بعد «حادث المنشية» عام 1954م تم اعتقاله وحكم عليه بالسجن 10 سنوات، وما إن خرج حتى قبض عليه في أحداث عام 1965م، وظل في السجن حتى عام 1971م ليخرج ويظل على منهجه حتى بعدما رحل عن مصر.

ظل محافظاً على فكرته ودعوته حتى توفاه الله عن عمر 95 عاماً، في 16 رمضان 1426هـ/ 18 أكتوبر 2005م.■

تولى إدارة تحرير «المجتمع»

كان من أبرز جهوده فضحه لمنظومة الفساد بمصر

«المجتمع»، وقد كانت له جهوده الواضحة والمميزة في تطوير المجلة وفتح آفاق جديدة في الخط التحريري لها.

وفي عام 2004م عاد إلى مصر ليتم توقيفه في مطار القاهرة، ثم اعتقل في أحداث عام 2006م وأحيل للمحكمة العسكرية التي برأته بعد عامين من السجن.

كان من أبرز جهود عز الدين فضحه لمنظومة الفساد في مصر، خاصة فساد نائب رئيس الوزراء وزير الزراعة الأسبق يوسف والي، وهو ما تسبب له في العديد من الاعتقالات.

وفي 28 يناير 2014م قبض عليه، وظل قيد الحبس الاحتياطي ما يقرب من 14 شهراً حتى أفرج عنه بكفالة يوم 13 فبراير 2015م.

لكنه خرج وقد تكالبت عليه الأمراض وظل قعيداً في بيته حتى وفاته في 14 ربيع الأول 1442هـ/ 31 أكتوبر 2020م، عن عمر ناهز 66 عاماً.■

المصادر

1 - الكويت تودّع عصام الفليج، صحيفة «الأنباء»، 29 أكتوبر 2020، https://bit.ly/3BBMqZM، ومجلة «المجتمع» https://bit.ly/3gW5D0u

2 - أحمد المصري: ويكيبيديا الإخوان المسلمين، https://bit.ly/3gWkSXk

3 - أحمد عز الدين.. حياة صحفي: مجلة «المجتمع»، 31 أكتوبر 2020، https://bit.ly/3BCf3WK

الروضان والرخيّص

كتب- عادل العصفور:

عبدالله الروضان.. الداعي إلى الله بخُلقه وسلوكه

ولد عبدالله عبدالمحسن الروضان في 2 جمادى الآخرة 1382هـ/ 31 أكتوبر 1962م، بمنطقة الفيحاء، ودرس المرحلة الابتدائية ثم المتوسطة والثانوية، ثم التحق بوزارة الأوقاف، وأكمل دراسته الجامعية لاحقاً في كلية الآداب، وتخرج فيها، وتخصص في الجغرافيا، وعمل في التدريس لمدة 3 سنوات، ثم أكمل مسيرته التعليمية بالولايات المتحدة الأمريكية، ونال درجة الماجستير، ثم حصل على الدكتوراه من بريطانيا بعنوان «الوقف وكيفية استثماره».

وفي سن مبكرة من شبابه تزوج وأنجب بنتاً واحدة، و4 أبناء.

تميز، رحمه الله، بعدد من الصفات الحسنة والخلال الحميدة، مثل:

- حُسن الخلق: وكان من حُسن أخلاقه وسلوكه مع الآخرين أن تعلقت به الأسرة التي كان يقيم عندها في لندن.

- حبه للقراءة: كان محباً للاطلاع والقراءة، ويلاحظ هذا من حديثه وسعة ثقافته.

- التواضع: كان متواضعاً للصغير والكبير، والفقراء، ويقضي حوائجهم ولا يبدي أي تميز له عليهم.

- بره بوالديه: كان باراً بوالديه خصوصاً والده وأرحامه؛ والفقراء منهم خاصة.

كما كان محباً قارئاً للقرآن، وقد تميز بصفات عدة أخرى، منها الكرم والشجاعة وعفة اللسان والغضب الله، ويدلل أخوه على ذلك عندما كان يستمع إلى الغناء فغضب منه قائلاً: «إن الله سيسمعك أفضل منه في الجنة».

كان، رحمه الله، داعياً إلى الله بخُلقه وأدبه وسلوكه وسمته وهديه وفعله، وكان ينفق ماله في سبيل الله ونشر الدعوة، وزيادة أعداد الشباب في المساجد بلا توقف، وكان دائماً يقول: «لا يضيع ما عند الله».

الروضان.. كان ينفق ماله في سبيل الله ونشر الدعوة

كان يمثل النموذج الأول في التأسيس الإيماني العميق؛ حيث التضحية والإنفاق، فيقتصد على نفسه ويكفل إخوانه من حوله.

توفي يوم الجمعة 12 شعبان 1423هـ/ 18 أكتوبر 2002م، وكانت جنازته مشهودة، وبقي أصحابه على قبره ساعة لا يستطيعون فراقه وهم يدعون له.

سعد الرخيّص.. هادئ الطبع

ولد سعد مساعد سعد الرخيّص في الكويت يوم الثلاثاء 13 جمادى الأولى 1407هـ/ 13 يناير 1987م، ونشأ في أسرة كريمة محافظة مكونة من أبوين وثلاثة أشقاء، كان هو أكبرهم ويليه علي ثم عمر.

ألحقه والداه بحضانة بيادر السلام بمنطقة الروضة، ثم استكمل المرحلة الابتدائية في مدرسة النجاة الخاصة في منطقة السالمية، وفي المرحلة المتوسطة درس في مدرسة البيروني بمنطقة قرطبة، وفي المرحلة الثانوية درس في ثانوية الشيخ عبدالله الجابر الصباح بمنطقة الروضة وتخرج فيها.

وبعد تخرجه في المرحلة الدراسية الثانوية عمل في شركة أعيان عام 2008م لمدة عام تقريباً ثم استقال، وتقدم لوظيفة باحث إداري في شركة البترول الكويتية بحقل المناقيش، فتم قبوله عام 2009 إلى عام 2011م، وهي السنة التي توفاه الله فيها رحمه الله.

الرخيّص.. كان هادئ الطبع طيب المعشر هيناً لينا يحب مساعدة الآخرين

تميز سعد بأمانته وصدقه وكرمه ومداراته وسماحته وشجاعته وتواضعه وتدينه، وحسن الصلة وأخلاقه الطيبة، وكان حريصاً على ترابط أسرته وعائلته، وكان يحرص على حضور تجمعهم في المناسبات بمنزل العائلة وديوانها بمنطقة الروضة.

ومما يميزه أيضاً أنه كان هادئ الطبع، طيب المعشر، حنوناً، هيناً لينا، يحب مساعدة الآخرين والأصحاب، ويتواصل مع أحبابه، يرد على المخالفين بأدب وقناعة، وينصح، ويأنف من الظلم والطغيان، يحفظ الود للآخرين.

انضم للجنة «مصابيح الهدى» عام 1997م، وكان عمره 10 سنوات وهو في المرحلة المتوسطة، وشارك في أنشطتها الثقافية والرياضية، وحصل على بعض شهادات التقدير، واستمر حتى المرحلة الثانوية، وشارك في العديد من الرحلات (رحلة صناع الحياة الأولى)، والدورات التدريبية، من أهمها: «مشروع رواد التربوية»، «مجموعة رواد العالم»، «المحاور المبدع لمركز صناع المستقبل».

توفي، رحمه الله، يوم الأحد 4 ذي القعدة 1432هـ/ 2 أكتوبر 2011م، وكان عمره 24 عاماً.■

المصدر

1 - كتاب الوفاء الصراح لتراجم رجال الإصلاح، المجموعة الثالثة.

نجيب محفوظ.. وخصوم الإسلام!

أ. د. حلمي محمد القاعود
أستاذ الأدب والنقد

عقب هزيمة عام 1967م، قرأت للعميد احتياط السابق «ما تيتاهو بيليد»، قائد الجبهة الشمالية أيام الهزيمة السوداء، بعض ما كتبه عن نجيب محفوظ (11 ديسمبر 1911 – 30 أغسطس 2006م).

«بيليد» -ومثله عدد كبير من ضباط جيش الاحتلال الصهيوني- لا يكفون عن الدراسة والبحث العلمي في أدبيات المنطقة، إلى جانب احتراف القتال، لمعرفة تفاصيل الحياة والقيم والعادات والتقاليد، وفهم ما يجري داخل الشعوب العربية، وطريقة تفكيرها، وإدراك تصوراتها للماضي والحاضر والمستقبل.

حاول «بيليد» بعد الهزيمة أن يلتقي نجيب محفوظ شخصياً، ويبدو أنه فشل، ولم ينجح إلا بعد «كامب ديفيد» (1978م)، ولم يحصل من الرجل على شيء ذي قيمة؛ فقد كان اللقاء فيما يبدو مجاملة وعابراً من خلال جلسة ضمت محفوظاً مع بعض مريديه.

كان يحلم بالحرية والعدل والديمقراطية ورأى في رواية «ابن فطومة» أن هذه القيم موجودة بالإسلام

«أولاد حارتنا» استغلت الرمز الديني استغلالاً فجاً وهي ضعيفة بالقياس إلى بقية رواياته

الشاهد في الأمر أن «بيليد» اهتدى بعد قراءة أدب محفوظ إلى أن رواياته تعبر عن قيم إسلامية، وعن مجتمع إسلامي، ويعني ذلك في المفهوم الصهيوني خطراً كبيراً على كيان الاحتلال؛ فالإسلام يمثل عنصر المقاومة الحقيقي المؤثر ضد الغزاة، أما المحاولات اليسارية والعلمانية للمقاومة، فهي هشة وصورية وزائفة أكثر منها عملية ومؤثرة ومؤلمة، ولذا لا يهتم بها الغزاة مثل اهتمامهم بالمقاومة الإسلامية، صحيح أن محفوظاً لم يُشر في رواياته وقصصه إلى العدو الصهيوني بكلمة أو يعالج القضية الفلسطينية أو الاحتلال الصهيوني للأرض العربية والمقدسات الإسلامية، ولكن الباحث الصهيوني ومثله كل الصهاينة يرون في التعبير عن القيمة الإسلامية مؤشراً على وجود عنصر يهدد وجودهم الإرهابي الاحتلالي الظالم!

نبوءة «نوبل»

في الأربعينيات، تناول المفكر والأديب سيد قطب على صفحات «الرسالة» روايات نجيب التاريخية التي نشرها تباعاً في ذلك الحين «عبث الأقدار»، «كفاح طيبة»، «رادوبيس»، «القاهرة الجديدة» (1945م)، وأشاد بها وتنبأ لصاحبها بمستقبل باهر في ميدان الرواية، وكأنه تنبأ له بجائزة «نوبل» (1988م).

وقد نشأت بين قطب، ومحفوظ، علاقة أدبية، استمرت لفترة طويلة، كان يزوره في بيته بحلوان، ويتبادلان الحوار حول الشؤون الثقافية والأدبية، ولكن ما تعرض له قطب من سجن واعتقال، وحكم بالإعدام، جعل نجيب محفوظ الذي كان حريصاً على سلامته الشخصية، يتراجع عن الوفاء لصاحبه الشهيد بإذنه تعالى؛ فجمهورية

الرعب دفعت كثيراً من الكتَّاب والأدباء إلى قول ما لا يؤمنون به خوفاً على أنفسهم، ولذا رأينا محفوظاً في روايته «المرايا» (1972م) يصوّر شخصية قطب تحت اسم «عبدالفتاح إسماعيل» تصويراً يرضي السلطة، ويبعده عن شبهة تأييده أو التعاطف معه، بعد أن أبرز ذكاءه، وتفوقه الفكري والأدبي، لقد حاول أن يلقي عليه ظلالاً من الشك والريبة، ووضعه في دائرة التنظيم السري، وأضفى عليه غموضاً عجيباً، مع أن سيد قطب كان واضحاً في فكره وسلوكه لدرجة لا تخفى على أحد، ثم ذكر أنه «لم يرتح إليه»!

لم يكن محفوظ من الإسلاميين الذين ينطلقون من تصور إسلامي خالص، وقد تطور فكره على مدى عمره الطويل، مذ درس الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة (تخرج عام 1934م)، واتصل بسلامة موسى (1887 – 1958م)، الذي أثر في فكره تأثيراً جذرياً، ومعروف مدى رفض موسى للإسلام، وتعصبه المقيت ضده، وحفاوته بالثقافة الغربية والدعوة إليها، وقد تابع محاولات محفوظ الروائية الأولى، وراجعه فيها، ونشر له في مجلته الشهرية مقالاته الفلسفية، وروايته الأولى التي قدمها هدية للمشتركين

www.mugtama.com

بدلاً من عددي الصيف اللذين كانت تحتجب فيهما المجلة، كان محفوظ وفدياً يحب سعد زغلول، والنحاس باشا، وعبر عن حبه ذاك في عدد من رواياته خاصة «الثلاثية» (1956 – 1957م)، وحين صوَّر الإخوان المسلمين كان مدفوعاً بالتعصب الحزبي، ولكنه لم يسئ إليهم أو يتهمهم بالعمالة والخيانة والكفر والظلامية، كما يفعل غيره من الشيوعيين والناصريين والليبراليين والانتهازيين والمرتزقة، صوَّر بعضهم في سلوكيات متحفظة، واهتمامات شخصية ضيقة، ثم أنصفهم في روايته «الباقي من الزمن ساعة» (1982م)، وأثار التعاطف معهم لنقائهم ومظلوميتهم، وتعرضهم للقهر والتعذيب.

قرأ الرجل الثقافة الغربية والتراث الإسلامي، والقرآن الكريم، وظهر تأثره واضحاً بالقرآن الكريم والحديث النبوي في أسلوبه الروائي، وقد خصص أحد الباحثين كتاباً كاملاً لدراسة هذا التأثر في رواية «اللص والكلاب»، لا تكاد تخلو فقرة في صفحة من صفحات الرواية من التأثر الأسلوبي بآية من الآيات، أو حديث شريف، مما يدل على التطور الفكري للرجل وانتمائه للثقافة الإسلامية والتشبع بها، وإن اختلف فهمه لمفهوم الدين والدولة، أو رؤيته العلمانية لفصل الإسلام عن السياسة بحكم دراسته للفلسفة وتأثير الفكر الغربي.

وقد تتبعتُ رواياته وكتبت عن عدد منها في وقت لم يكن يبالي به كثير من اليساريين وأشباههم، وخاصة في الروايات التي يظهر فيها النبض الروحي الإسلامي، فتناولت روايته الضخمة «ملحمة الحرافيش» (1977م) قبل أن يتناولها الآخرون، وهي تعد من وجهة نظري تصحيحاً بارعاً، وبناء فنياً أفضل من رواية «أولاد حارتنا» (1959م)، وكتبت عنها دراسة مطولة نشرتها في مجلة «البيان» الكويتية، عقب صدور الرواية مباشرة، وهو ما لفت انتباه رجاء النقاش، فكتب عنها مقالاً ممتداً على عددين من

حين صوَّر «الإخوان» كان مدفوعاً بالتعصب الحزبي لكنه لم يسئ إليهم ويتهمهم بالعمالة

تراجَعَ عن رأيه في قطب وتنكر لعلاقته الأدبية به بعد الحكم على الأخير بالإعدام

مجلة «المصور» جعل عنوانه «نجيب محفوظ يكتب بالفارسية»؛ لأني توقفت وقفة غير قصيرة في دراستي المشار إليها عند استلهام نجيب للشعر الفارسي في الرواية.

ثم رأيت رواية «الكرنك» (1974م) التي تناولت التعذيب في العهد الناصري، وأشدت بها لأنها كشفت جانباً مظلماً من جوانب النظام المهزوم الذي انتصر على شعبه وحده، وهي رواية لم يتناولها اليساريون، بسبب موضوعها الذي يدين النظام الذي أيَّدوه ومنحهم صدارة المشهد الثقافي والإعلامي والفكري والفني والتربوي.

تصوَّر محفوظ في فترة تطوره الفكري والثقافي أن يقوم نظام سياسي في بلادنا العربية، يعتمد على ديمقراطية الغرب والعدالة الاجتماعية في النظام الشيوعي، والبناء الروحي في صوفية الإسلام، وقد عالج هذه الرؤية في روايته «حضرة المحترم» (1975م)، وواضح أن هذا التصور يدل على قصور واضح في فهم التشريع الإسلامي، الذي وضع أسساً إنسانية لتوفير العدالة الاجتماعية وتحقيق الشورى وواقعية الإيمان وبساطته، وفي كل الأحوال فالرجل لا يعادي الإسلام ولا يشهّر به، كما فعل ويفعل الشيوعيون ونظراؤهم في الفكر والاعتقاد والسلوك.

وفي روايته «رحلة ابن فطومة» (1983م) التي تناولتها في أحد كتبي، عرض محفوظ لأبرز النظم السياسية في العالم، ومعظمها يقوم على الاستبداد والقهر والظلم، ولكنه كان حريصاً حين يرى حالة إيجابية أو فكرة إنسانية، يتساءل على لسان ابن فطومة الأزهري الذي حفظ القرآن واستوعب التراث: أليس هذا موجوداً في ديننا؟ كان محفوظ يحلم بالحرية والعدل والشورى أو الديمقراطية، ورأى أخيراً من خلال الرواية أنها قائمة في الإسلام.

لوحظ أن الشيوعيين والناصريين والقوميين والانتهازيين والمرتزقة لم يكتبوا حول الروايات التي عالجت مسألة التعذيب أو انحازت إلى الإسلام أو بعضه، فركزوا على «أولاد حارتنا»، وهي رواية من حيث الفن ضعيفة بالقياس إلى بقية رواياته، ثم إنها استغلت الرمز الديني استغلالاً فجاً، سواء ما يشير إلى الذات الإلهية أو الأنبياء، صحيح أن نجيب محفوظ صنع بيئة شعبية لتكون فرشة فنية يضع عليها بضاعته الفكرية، ولكنه أخفق في إبعاد الحقيقة عن ذهن القارئ، فعرف أن الجبلاوي يرمز إلى الذات الإلهية، وعرف أدهم، وإدريس، وجبل، ورفاعة، وقاسم، وعرفة، الذين يرمزون إلى الأنبياء وإبليس والعلم، وكان موت الجبلاوي قاصمة الظهر؛ لأنه يعني موت الإله، وهو ما جعل القرَّاء المسلمين يغضبون.

كان محفوظ فيها يؤرخ للبشرية من خلال الحارة المصرية بسياقاتها الاجتماعية والاقتصادية وحكم الفتوات (رمز الاستبداد والقوة الغشوم والولاء للفتوة الأقوى) دون أن يُظهر أثراً للوحي أو تعاليم السماء، وجعل المستقبل لعرفة (العلم) وحده بعد موت الجبلاوي.

وقد أثير حول الرواية لغط كثير حولها إلى أزمة تدخلت فيها السلطة والأزهر عقب نشرها مسلسلة في «الأهرام» على عهد محمد حسنين هيكل، وكانت الأزمة بتدبير بعض الشيوعيين في جريدة «الجمهورية» نتيجة الغيرة الأدبية من محفوظ وخاصة لدى الشيوعي الحكومي التائب يوسف إدريس، فقد فوجئ القراء برسالة من شخص مجهول تظهر في باب الرسائل بالجريدة، ينبه فيها إلى أن الرواية التي تظهر مسلسلة في «الأهرام» تسيء إلى الأنبياء والإسلام، وكان المشرف على صفحة الرسائل بعض الشيوعيين، أبرزهم أحمد عباس صالح، لم يُعرف عن الشيوعيين حرص على الإسلام والأنبياء، فهم يعدون الدين أفيون الشعوب، ووقف كتَّاب «الجمهورية» اليساريون من الرواية موقفاً أشعل الموقف، وجعل السلطة تتدخل، وتعهد بلجنة من أساتذة الأزهر تضم الشيخ أحمد الشرباصي، والشيخ محمد الغزالي، والشيخ محمد السعدي

فرهود، وهم متخصصون في الأدب والنقد يقومون بفحص الرواية، ويصدرون تقريراً عنها، فطلبوا وقف نشر الرواية حفاظاً على قدسية الذات الإلهية واحتراماً لمقام الأنبياء، ولكن محمد حسنين هيكل، رئيس تحرير «الأهرام»، تحدى التقرير وأصر على إتمام نشرها، بينما امتنع محفوظ عن نشرها في كتاب احتراماً لرأي الأزهر.

وبعد سنوات ظهرت الرواية مطبوعة في بيروت، حيث نشرتها دار الآداب المعروفة بميولها الماركسية، مع أن صاحبها تعلم في الأزهر الشريف، وكان يرتدي العمامة!

ابن حضارتين

تطورت أفكار محفوظ وكتب «ملحمة الحرافيش» -كما سبقت الإشارة- وهاجم الحكم العسكري بشراسة في بعض رواياته خاصة التي صدرت بعد الهزيمة (انظر مثلاً: روايته «يوم قتل الزعيم» عام 1985م)، وفي كلمته التي ألقاها يوم تسلم جائزة «نوبل»، وألقيت نيابة عنه، عبَّر عن انحيازه إلى الحضارة الإسلامية، وجاء في بعض فقراتها: «سادتي، أخبرني مندوب جريدة أجنبية في القاهرة بأن لحظة إعلان اسمي مقروناً بالجائزة سادها الصمت، وتساءل كثيرون عمن أكون، فاسمحوا لي أن أقدم لكم نفسي بالموضوعية التي تبيحها الطبيعة البشرية، أنا ابن حضارتين تزوجتا في عصر من عصور التاريخ زواجاً موفقاً، أولهما عمرها سبعة آلاف سنة؛ وهي الحضارة الفرعونية، وثانيهما عمرها ألف وأربعمائة سنة؛ وهي الحضارة الإسلامية، ولعلي لست في حاجة إلى التعريف بأي من الحضارتين لأحد منكم، وأنتم من أهل الصفوة والعلم، ولكن لا بأس من التذكير ونحن في مقام النجوى والتعارف».

وبعد حديثه عن الحضارة الفرعونية، تحدث عن الحضارة الإسلامية فقال: «وعن الحضارة الإسلامية فلن أحدثكم عن دعوتها إلى إقامة وحدة بشرية في رحاب الخالق تنهض على الحرية والمساواة والتسامح، ولا عن عظمة رسولها، فمن مفكريكم من كرَّمه كأعظم رجل في تاريخ البشرية، ولا عن فتوحاتها التي غرست آلاف المآذن الداعية للعبادة والتقوى والخير على

في كلمته يوم تسلم «نوبل» عبَّر عن انحيازه إلى الحضارة الإسلامية بصورة واضحة

في أواخر حياته عجز عن الوضوء فطلب من سكرتيره أن يعلّمه التيمم وبنى مسجداً

امتداد أرض مترامية ما بين مشارف الهند والصين وحدود فرنسا.

ولا عن المؤاخاة التي تحققت في حضنها بين الأديان والعناصر في تسامح لم تعرفه الإنسانية من قبل ولا من بعد، ولكني سأقدمها في موقف درامي -مؤثر- يلخص سمة من أبرز سماتها، ففي إحدى معاركها الظافرة مع الدولة البيزنطية ردت الأسرى في مقابل عدد من كتب الفلسفة والطب والرياضة من التراث الإغريقي العتيد، وهي شهادة قيمة للروح الإنسانية في طموحها إلى العلم والمعرفة، رغم أن الطالب يعتنق ديناً سماوياً والمطلوب ثمرة حضارة وثنية».

ثم ختم قائلاً: «قُدر لي يا سادة أن أولد في حضن هاتين الحضارتين،

وأن أرضع لبنيهما وأتغذى على آدابهما وفنونهما، ثم ارتويت من رحيق ثقافتكم الثرية الفاتنة، ومن وحي ذلك كله، بالإضافة إلى شجوني الخاصة، ندت عني كلمات أسعدها الحظ باستحقاق تقدير أكاديميتكم الموقرة؛ فتوجت اجتهادي بجائزة نوبل الكبرى؛ فالشكر أقدمه لها باسمي وباسم البناة العظام الراحلين من مؤسسي الحضارتين..».

وفي ذكرى وفاة محفوظ كل عام، يستغل خصوم الإسلام من المتهوّدين والمتنصّرين واليساريين والمرتزقة، فيستدعون حادثة طعنه (أكتوبر 1995م) على يد شاب جاهل، ويرتبون على ذلك إدانة الإسلام والمسلمين جميعاً، ونعتهم بأشد الألفاظ قبحاً وبذاءة، كما يحاولون إخراج محفوظ من دائرة الإسلام والإيحاء أنه ابن معتقداتهم المنحرفة، مع أن الرجل في أواخر حياته كان لا يستطيع الوضوء، فطلب من سكرتيره الشخصي الحاج محمد صبري، رحمه الله، وكان يقرأ له الصحف والكتب أن يعلمه كيفية التيمم ليصلي، وهذا سمعته بأذني من الرجل، ثم إنه بنى مسجداً فخماً على الطريق الصحراوي بين القاهرة والإسكندرية في قرية العزيزية التي يرتبط بأرضها وأهلها، وتكفّل بأجور العمال والإمام، والقائمين على تحفيظ القرآن الكريم، وكان يذهب في المناسبات ليوزع الصدقات ويقضي بعض وقته هناك، وما زالت أسرته أو ما تبقى منها (ابنته) تقوم بهذه الزيارة.

ولكن اليساريين لا يأتون على ذكر صلاته وإيمانه أبداً، ووجدوا في بناء مسجد العزيزية أمراً جللاً، وخيانة لهم، وتطرفاً كان يخبئه نجيب محفوظ! كأنهم تعاقدوا معه على عداوة الإسلام!

والغريب أنه بعد حادثة طعنه التي استنكرها المسلمون وغيرهم، راحوا يتحدون الأزهر والسلطة معاً، ونشروا «أولاد حارتنا» في «الأهالي» جريدة الحزب الشيوعي، الذي يسمى التجمع الوطني التقدمي الوحدوي، ويسخر منه المصريون فيسمونه حزب «توتو»!

مؤسف جداً أن يتفرغ خصوم الإسلام الذين يدعون النضال والكفاح من أجل الكادحين والفقراء إلى هجاء الإسلام والتشهير بالمسلمين، ولو كانوا في قامة نجيب محفوظ!■

www.mugtama.com

محطات إيمانية في طريق التربية

كلام الناس

إيمان مغازي الشرقاوي
ليسانس شريعة - ماجستير الدعوة
جامعة المدينة العالمية

جلست تتناجى مع أختها فتناولت معها أطراف الحديث من هنا وهناك، في جلسة ثنائية ضمتهما، لكنها لم تخلُ من القيل والقال التي يكرهها الله تعالى؛ أرأيت عائلة فلان! لقد زوجوا ابنتهم من رجل عامل بسيط، تخيلي يا أختي حتى السيارة لا يملكها! وسيسكن معها في بيت بالإيجار! كيف يتزوج وهو بهذه الحال؟ لا أدري كيف وافقوا أن يزوجوه ابنتهم؟! ماذا يقول الناس عن أبيها، ألا يجد ما يطعمها به، أم أنه يريد أن يتخلص منها؟! ألم يجد لها عريساً غيره يملك بعض المال أو العقار؟! مسكينة تلك الفتاة!

أومأت أختها برأسها إظهاراً لموافقتها الرأي، وجلست كل منهما تفرغ ما عندها من أخبار وأحداث في محيط الأهل والأسرة والصديقات والجيران وزميلات العمل.

للأسف، فإن هذا مشهد من واقع الحياة قد يحصل من بعض الناس تجاه الآخرين، فهل مثل هذا الكلام يؤثر على حياة بعضنا سلباً وإيجاباً، أم أنه مجرد كلام لا أثر له على تصرفاتنا؟

ذكر الله تعالى في كتابه الكريم أثر الكلمة التي تتسبب في إشباع بطن جائع إذا كانت تحث على الصدقة، وأثرها في إقلاع مذنب عن ذنب وتوبته منه حين تأمره بالمعروف، وأثرها حين تطيب فتحوّل الهجر والقطيعة إلى تآلف ووصال، وذلك في إصلاح ذات البين والعودة بالحب والصفاء والود بين المتخاصمين، فقال سبحانه: ﴿لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ (النساء: 114)، قال ابن كثير: «لا خير في كثير من نجواهم» يعني: كلام الناس.

إن كلام الناس مؤثر لا شك على بعضهم بعضاً، ولا حرج في ذلك، إنما الحرج والخسران حين يكون بتأثيره القوي صادّاً عن طريق الله تعالى، وقد حصل ذلك مع أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم، فقد روى المسيب بن حزن: أن أبا طالب لما حضرته الوفاة، دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل، فقال: «أي عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله»، فقال أبو جهل، وعبدالله بن أبي أمية: يا أبا طالب، ترغب عن ملة عبد المطلب! فلم يزالا يكلمانه، حتى قال آخر شيء كلمهم به: على ملة عبدالمطلب. (رواه البخاري).

إن كلام الناس إذا صلح فهو كالجليس الصالح لمن يسمعه، يعين على فعل الخير أو دفع السوء والشر، ويساعد على ترك المنكر والإقلاع عن المعصية؛ فيكون بذلك نعم الكلام لقائله وسامعه، أما إن كان الكلام مخالفاً لما أمر الله به فإنه يصير كجليس السوء ونافخ الكير؛ لذا فقد دعانا النبي صلى الله عليه وسلم لحسن الكلام فقال: «كل كلام ابن آدم عليه لا له؛ إلا أمراً بمعروف، أو نهياً عن منكر، أو ذكراً لله» (حسنه الألباني).

فعلى المسلم أن يكون بكلامه مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر، وألا يطلق لسانه في أحوال الناس بالنقد والتحليل والإيذاء، كما أن عليه ألا يلتفت لأي كلام يحول بينه وبين طاعة ربه؛ حتى لا يؤدي به إلى الوقوع فيما لا تُحمَد عقباه في الدنيا والآخرة.

كلام الله ورسوله أحق بالاتباع:

بعض الناس يتخوف أن تطاله الألسنة بالكلام عنه؛ فيعمل حساباً لكلام الناس قبل أي شيء، وقد يحجم عن العمل وإن كان خيراً وحقاً، أو يعمله إرضاء للناس وإن كان باطلاً ومحرماً، يفعل ذلك اجتناباً للوم والعتاب من بعض الناس له، وهروباً من نظرات الاستنكار منهم.

- فقد تحجم المسلمة البالغة عن ارتداء الحجاب خوفاً من كلام الناس عنها من أنه يخفي جمالها ويعطل زواجها ويحدّ من حريتها، وهم في ذلك مخطئون؛ فالفتاة المؤمنة لا تُصغِي لهم سمعاً لأن الله

www.mugtama.com

تعالى يقول: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ (النور: 31).

– وقد يرغب شاب في الزواج من فتاة بعينها ذات دين وخلق فيقف له بعض الأهل رافضين هذه الزيجة خوفاً من كلام الناس لأن أباها رجل لا جاه له ولا مكانة بين أهل الغنى والثراء، فهل ينظر أحد لكلام الناس هذا مع كلام النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: «تنكح المرأة لأربع؛ لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» (رواه البخاري)، أو يُرفَض الخاطب نفسه وهو صاحب الدين والخلق لكنه في بداية حياته العملية، والفتاة تقبل به لكن وليّها يرده ولا يزوّجه منها تحسباً لكلام الناس عليه أو على وظيفته المتواضعة أو أسرته المتعففة! ألم يسمع كلام النبي صلى الله عليه وسلم وقوله: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد»، قالوا: يا رسول الله، وإن كان فيه؟ قال: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه» ثلاث مرات (صحيح الترمذي).

– وقد تستعد العروس ليوم عرسها المنتظر، فتعد الأيام والساعات ترقباً لمجيئه، حتى ترتدي فستان الزفاف الأبيض، وتلتقي بالصديقات والأحباب في هذه المناسبة السعيدة؛ فتعمل حساباً لكلام الناس في كل شيء يخصها فيها، وترغب في مديحهم لذوقها في يومها السعيد، فاليوم هو يوم العمر، والليلة هي ليلتها؛ فتقع هي وأهلها فيما لا يرضي الله؛ فالعرس مختلط، الرجال والنساء بزينة العرس في مكان واحد، والعروس تظهر بكامل زينتها وإن غطت شعرها، وتُزَف من طرف الرجال هي وزوجها، وقد ترقص مع عريسها للتصوير، على مرأى من جميع الحاضرين، وقد يوافق الزوج زوجته على ذلك ويشاركها فيه ويعينها عليه، ولسان حالهم يقول: ماذا يتكلم الناس عنا إن لم نفعل هذا؟! فهل حقيقة كل ذلك من أجل كلام الناس أم أن الحلال اختلط بغيره فصار خافياً لا يُعلَم؟! أليس أمر الله تعالى واضحاً لنا جميعاً: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ (النور: 31).

كلام الناس إذا صلح فهو كالجليس الصالح لمن يسمعه يعين على فعل الخير أو دفع السوء

قد يرغب شاب في الزواج من فتاة ذات دين فيقف له الأهل رافضين إياها خوفاً من كلام الناس

– وهذا العروس يجهز بيته بكل أنواع الأثاث؛ الضروريات والحاجيات والتحسينيات، ولو أدى ذلك إلى الاستدانة والغرق في الديون! حتى لا يقول الناس عنه شيئاً يقلل منه!

– وأمٌّ تجهز ابنتها عند زواجها بكل ما تحتاجه وما لا تحتاجه من الجهاز خوفاً من كلام الناس؛ فتقصم ظهر أبيها بكثرة النفقات وقد يدخل السجن ليدفع فاتورة تلك الديون من حريته وصحته!

لماذا يحرص البعض على إرضاء الناس حتى إن كان إرضاؤهم يؤدي إلى الحرج أو يغضب الله؟!

– وموظف يحصل على المال من حرام بالرشوة والزور، ولا يبالي من أي طريق يحصل عليه، حتى يغتني فيكبر في عين الناس!

فلماذا يعلق البعض عمله فيربطه بكلام الناس عنه وآرائهم فيه فيقوم بالعمل أو يتركه تبعاً لذلك؟! ولماذا يحرص البعض على إرضاء الناس وإن كان إرضاؤهم يؤدي إلى الحرج والمشقة، أو يغضب الله تعالى! ألم يحذرنا النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك وقال: «مَن أرْضَى الناس بسخَط الله وكَلَه الله إلى الناس، ومَن أسخط الناس برضا الله كفاه الله مُؤْنَةَ الناس» (صحيح الجامع).

ألا وإن المسلم لا يتكلم عن الناس إلا بالخير، ولا يخوض إلا فيما يعنيه، ولا يسمع لكل ما يقال، ولا يطيع الناس في كلامهم إلا فيما يرضي الله عز وجل، وليعلم أن رضا الناس عنه في كل حال هو أمر محال، وقد قال الإمام الشافعي واصفاً لنا ذلك في أبيات بديعة فقال:

ضحكتُ فقالوا ألا تحتشم
بكيتُ فقالوا ألا تبتسم
بسمتُ فقالوا يرائي بها
عبستُ فقالوا بَدا ما كتم
صَمَتُّ فقالوا كليل اللسان
نطقتُ فقالوا كثير الكلم
حلمتُ فقالوا صنيع الجبان
ولو كان مقتدراً لانتقم
فأيقنتُ أني مهما أردت
رضا الناس لا بد من أن أذم

د. جمال نصار
أستاذ فلسفة الأخلاق بجامعة
إسطنبول صباح الدين زعيم

المصطفى ﷺ.. والتربية الأخلاقية (5)

وفاؤه بالعهد وكرمه وعبادته

تناولت في مقالة سابقة بعض الصفات الأخلاقية لسيد البشر (الرحمة، والحياء)، التي تمثل نموذجاً ربانياً في التعامل مع الآخرين؛ لتكون لنا نبراساً في حياتنا، وفي هذه المقالة نستكمل بعضاً من هذه التربية الأخلاقية التي تربى عليها الحبيب صلى الله عليه وسلم.

تاسعاً: وفاؤه صلى الله عليه وسلم بالعهد:

كان النبي، عليه أفضل الصلاة والسلام، إذا وعد وفّى، مع كل من يتعامل معه، أو يتعهده بعهد، سواء مع أصحابه أو أعدائه؛ فلم يحفظ عنه أعداؤه خلفاً لوعد، ولا خيانة لعهد، رغم حرصهم الشديد على الظفر بعثرة له أو زلّة، ولكن هيهات، عاش عمره كله سلماً وحرباً وحلاً وترحالاً، عاش حالة واحدة من الصدق والأمانة.

ومن وفائه، صلى الله عليه وسلم، أنه كان يكرم صديقات زوجته خديجة، رضي الله عنها، بعد موتها، فعن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال: كان النبي، صلى الله عليه وسلم، إذا أتي بالشيء يقول: «اذهبوا به إلى فلانة؛ فإنها كانت صديقة خديجة، اذهبوا به إلى بيت فلانة؛ فإنها كانت تحب خديجة»[1].

ولقد عاهد المشركين واليهود وهم أشد الناس عداوة له، فما خان ولا خلف بالعهد، ولا نقض لميثاق[2]، وحق له أن يكون أوفى الناس بوعده وأصدقهم في عهده، وهو الذي قال: «آية المنافق ثلاث؛ إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان»[3].

وكان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يفي بالعهود والمواثيق التي تكون بينه وبين أعداء الإسلام، فثبت عنه، صلى الله عليه وسلم، أنه قال لرسولي مسيلمة الكذاب لما قالا: نقول: إنه رسول الله، "لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما"[4].

وثبت عنه أنه قال لأبي رافع، وقد أرسلته إليه قريش، فأراد المقام عنده، وأنه لا يرجع إليهم فقال: «إني لا أخيس بالعهد، ولا أحبس البرد، ولكن ارجع إلى قومك، فإن كان في نفسك الذي فيها الآن فارجع»[5]، وثبت عنه أنَّه ردَّ إليهم أبا جندل للعهد الذي كان بينه وبينهم، أن يردَّ إليهم من جاءه منهم مسلماً[6].

لم ير أعداؤه عنه خلفاً لوعد ولا خيانة لعهد رغم حرصهم الشديد على الظفر بعثرة له أو زلّة

بلغ مرتبة الكمال الإنساني في حبّه للعطاء إذ كان يعطي عطاء مَن لا يحسب حساباً للفقر

عاشراً: كرمه صلى الله عليه وسلم:

لقد مثّل النَّبيُّ، صلى الله عليه وسلم، المثل الأعلى والقدوة الحسنة في الجود والكَرَم، فكان «أَجْوَدَ النّاس بالخَيْر، وكانَ أَجْوَد ما يَكونُ في رَمَضانَ حِينَ يَلْقاهُ جِبْرِيلُ، وكانَ جِبْرِيلُ عليه السَّلامُ يَلْقاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ في رَمَضانَ، حتّى يَنْسَلِخَ، يَعْرِضُ عليه النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم القُرْآنَ، فَإذا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ عليه السَّلامُ، كانَ أَجْوَدَ بالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ»[7].

وقد بلغ النبي الكريم مرتبة الكمال الإنساني في حبِّه للعطاء، إذ كان يعطي عطاء مَن لا يحسب حساباً للفقر ولا يخشاه، ثقة بعظيم فضل الله، وإيماناً بأنَّه هو الرزَّاق ذو الفضل العظيم.

عن موسى بن أنس، عن أبيه، قال: «ما سُئل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، على الإسلام شيئاً إلَّا أعطاه، قال: فجاءه رجلٌ فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم أسلموا، فإنَّ محمَّداً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة»[8].

وكان يُؤْثِر على نفسه، فيعطي العطاء ويمضي عليه الشَّهر والشَّهران لا يُوقَد في بيته نارٌ، وكان كرمه صلى الله عليه وسلم كرماً في محلِّه، ينفق المال لله وبالله، إمَّا لفقير، أو محتاج، أو في سبيل الله، أو تأليفاً على الإسلام، أو تشريعاً للأمَّة، وغير ذلك.

ولقد نال النبي، صلى الله عليه وسلم، أعظم المنازل وأشرفها في صفوف أهل الكرم والجود؛ فلم يكن يردّ سائلاً أو محتاجاً، وكان يُعطي بسخاء قلّ أن يُوجد مثله.

وكثيراً ما كان النبي، صلى الله عليه وسلم، يمنح العطايا يتألّف بها قلوب المسلمين الجدد، ففي غزوة حنين أعطى كلاً من عيينة ابن حصن، والأقرع بن حابس، والعباس بن مرداس، وأبي سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، رضي الله عنهم، عدداً كبيراً من الإبل، وعند عودته، عليه الصلاة والسلام، من تلك الغزوة تبعه بعض الأعراب يسألونه، فقال لهم: «أتخشون عليّ البخل؟ فوالله لو كان لي عدد هذه العضاة نَعَماً -أي: أنعاماً- لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً»[9].

نال أعظم المنازل في صفوف أهل الجود فلم يكن يردّ سائلاً أو محتاجاً

رغم أن الله تعالى غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه

وهكذا كان سخاؤه، صلى الله عليه وسلم، برهاناً على شرفه، وعلو مكانته، وأصالة معدنه، وطهارة نفسه.

حادي عشر: عبادته صلى الله عليه وسلم:

من كريم أخلاقه، صلى الله عليه وسلم، أنه كان عبداً لله شكوراً؛ فقد كان يعرف حق ربه، عز وجل، عليه وهو الذي قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وعلى الرغم من ذلك كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، ويسجد فيدعو ويسبح ويدعو ويثني على الله تبارك وتعالى، ويخشع لله عز وجل حتى يُسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل؛ فعن عبدالله بن الشخير، رضي الله عنه، قال: «أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيزٌ كأزيز المرجل من البكاء» (رواه أبو داود، وصححه الألباني).

وعن عائشة، رضي الله عنها، أن نبي الله، صلى الله عليه وسلم، كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لمَ تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكورًا» (رواه البخاري).

وكان من تمثله، صلى الله عليه وسلم، للقرآن أنه يذكر الله تعالى كثيراً، قال عز وجل: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ (الأحزاب: 35).

ومن تخلقه، صلى الله عليه وسلم، بأخلاق القرآن وآدابه تنفيذاً لأمر ربه عز وجل أنه كان يحب ذكر الله ويأمر به ويحث عليه، قال: «لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس» (رواه مسلم)، وقال: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره، مثل الحي والميت» (رواه البخاري).

وكان أكثر الناس دعاءً، وكان من أكثر دعائه أن يقول: «اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» (متفق عليه).

وعن عائشة، رضي الله عنها، أنه كان أكثر دعاء النبي، صلى الله عليه وسلم، قبل موته: «اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل» (رواه النسائي، وصححه الألباني).

هذه بعض الوقفات مع منهج النبي، صلى الله عليه وسلم، في تربيته المجتمع على الأخلاق الإسلامية الفاضلة، التي كانت سبباً واضحاً في نشر الإسلام، ودخوله لقلوب العباد.

فجزاه الله من نبي عن أمته خيراً، ورحم الله عبداً تأمل في هذه الشمائل الكريمة، والخصال الجميلة، فتمسك بها، واتبع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ليحوز شفاعته يوم الفزع الأكبر، ويرضى الله عنه، فنسأل الله التوفيق لما فيه الخير بمنّك وكرمك يا أرحم الراحمين.■

الهوامش

(1) الأدب المفرد، البخاري، 232.
(2) محمد صلى الله عليه وسلم كأنك تراه، عائض القرني، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ/ 2002م، ص35.
(3) صحيح البخاري، حديث رقم (33).
(4) سنن أبي داود، حديث رقم (2761).
(5) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، 5/ 80.
(6) المرجع السابق، 5/ 80.
(7) صحيح البخاري، حديث رقم (1902).
(8) صحيح مسلم، حديث رقم، (2312).
(9) صحيح البخاري، حديث رقم (2821).

www.mugtama.com

الإجابة للدكتور
عجيل النشمي حفظه الله

المعيار الشرعي لاختيار الزوج

• فتاة تقول: إنه تقدم لخطبتها أكثر من شخص، وتسأل: ما المعيار الشرعي لاختيار الزوج؟ هل هو الخُلُق أو الدين أو المال أو النسب أو الوجاهة؟

– معيار اختيار الزوج هو الدين والخُلُق، أما المال والنسب والوجاهة فأمور تابعة أو ثانوية وجودها أفضل من عدمها، لكن المعيار هو الدين والخُلق وحُسن المعاملة والعِشرة، وذلك لقوله صلوات الله وسلامه عليه: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخُلقه فانكحوه»، وكلما كان هناك تقارب بين مستوى الزوج والزوجة كان أفضل، والتقارب أو التكافؤ مطلوب بالنسبة للمال والنسب والوجاهة أو المستوى الاجتماعي، كل ذلك أدعى لحُسن العِشرة بينهما، وإذا انعدمت فلا تمنع من قبول الزواج إذا توافر الدين والخلق.

ظهور آثار النعمة على العبد

• رجل وسَّع الله عليه بالخير الكثير، ولكنه يقتر على نفسه، ولا يظهر بمظهر حسن ويقول: إن هذا من التقشف الذي أمر به الإسلام، فهل هذا جائز؟

– إذا أنعم الله تعالى على امرئ نعمة فينبغي أن يظهر أثرها عليه، لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى: 11)، ولما روى فَضالة بن مالك الحبشي قال: دخلتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآني سيئ الهيئة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «هل لك من شيء؟»، قال: نعم، من كل المال قد أتاني الله، فقال: «إذا كان لك مال فليُرَ عليك»، (سنن النسائي، 1998)، وعن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله جميل يحب الجمال، ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده..» (التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي، وقال: الحديث ضعيف عن الموسوعة 5/170)، والإسلام يرغب في المسلم أن يكون وسطاً بين الإسراف والتقتير، أو بين البذخ والتقشف، والإسلام لا يقبل التقشف الذي يعود على صاحبه بالضرر في صحته، أو ضياع حق من يعولهم، أو حق الفقير والمسكين.

نفقة الزوجة إذا غادرت البيت

• سيدة خرجت من بيت زوجها وذهبت إلى بيت أهلها مدعية أنها لا تأمن على نفسها وبناتها بسبب أن زوجها سيئ السلوك ويأتي ببعض زملائه السيئين إلى البيت، ولما ذهبت إلى بيت أهلها امتنع الزوج عن دفع مصروفاتها مع أولادها، فما حكم الشرع في ذلك؟

– إذا كان خروجها بسبب خوفها كما تقول على نفسها وبناتها فلها النفقة ويلزم الزوج بها، ولا تعدّ الزوجة ناشزاً في هذه الحال، والأمر عند النزاع يحتاج إلى حكم القاضي.

الاستعاذة عند قراءة القرآن

• قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (النحل: 98)، يفهم من الآية أننا دائماً إذا أردنا أن نقرأ القرآن نقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وإذا كان كذلك فلماذا لا يفعل ذلك كثير من قراء القرآن الكريم؟

– جمهور الفقهاء، قالوا: إن الآية لا تفيد وجوب الاستعاذة، بل تفيد أن الاستعاذة مندوبة، وقالوا: إن الذي منع الوجوب هنا هو إجماع السلف على أن الاستعاذة سُنة، ولأنه رُوي أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يلتزم الاستعاذة، بل كان يتركها أحياناً، وفي هذا إشارة في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين» (رواه مسلم، 1/307).

تفاوت الشريكين بالربح

• أنا وزميل لي شريكان في شركة، وكل منا شارك في نصف رأس المال، فهل يجوز أن نتفق بالتراضي على أن أحدنا يأخذ ربحاً أكثر من الآخر؛ مثلاً

www.mugtama.com

يأخذ واحد الثلث والآخر الثلثين؟

– الفقهاء مختلفون في هذا، فمذهب الحنفية والحنابلة أن الربح بين الشريكين على حسب ما يتفقان عليه، فيجوز أن يتساويا في الربح مع تفاضلهما واختلافهما في نسبة رأس المال، ويجوز أن يتفاضلا في الربح مع تساويهما في رأس المال، وذهب المالكية والشافعية أن شرط صحة الشركة أن يكون الربح بينهما على قدر مشاركة كل واحد منها في رأس المال، فإذا تساويا في المشاركة في رأس المال فيكون الربح بينهما حسب تفاضلهما، وعللوا لذلك بأن الربح هو ثمرة اشتراك المالين، فلا يجوز أن يشترط أحدهما ربحاً أكثر من نصيبه في المال، بغض النظر عن تساويهما في العمل أو تفاوتهما في العمل بأن يكون أحدهما أقوى على العمل وأكثر قدرة على إدارة الشركة وأكثر خبرة في العمل التجاري، لكن لو أن أحدهما تكفل بإدارة الشركة لكونه مثلاً متخصصاً أو متفرغاً فينبغي في هذه الحال أن يُعقد بينهما عقد آخر مستقل عن عقد الشركة، وينص فيه على استحقاق هذا الشريك بنسبة معينة نظير الإدارة.

الإشهاد عند مراجعة الزوجة

• سيدة زوجها طلقها ثم راجعها قبل أن تنتهي العدة، ولكنه لم يحضر شهوداً على الرجعة، وقيل لها: إن هذه الرجعة باطلة إلا إذا أحضر شهوداً على ذلك، فما الحكم الشرعي؟

– جمهور الفقهاء من الحنفية والمالكية والشافعي في الجديد وأحمد في إحدى الروايتين ذهبوا إلى أن الإشهاد على الرجعة مستحب، وذلك لأن الرجعة من حقوق الزوج، فهي حينئذ باختياره، ولا يشترط قبول المرأة، فلا يشترط أيضاً الإشهاد حتى تكون صحيحة، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً﴾ (الطلاق: 2)، المراد بطلب الإشهاد ليس الوجوب، بل المراد الندب، فالإشهاد مندوب لقطع النزاع عند اختلاف الزوجين في حدوث الرجعة.

الخطبة على خطبة آخر

• شخص يقول: إنه تقدم لفتاة ليخطبها فتمت الخطبة، ثم تبين أن الفتاة مخطوبة، فهل عليه إثم في هذه الحالة؟

– نقول للأخ: إنه ما دمت لا تعلم بالخطبة الأولى فلا شيء عليك، وإنما تحرم الخطبة على الخطبة إذا علم الخاطب الثاني بخطبة الأول، وتكون خطبة الأول مقبولة بأن يجيبوه إلى خطبة ابنتهم، ويقبل أو يرفض أو يترك، أو يأذن الخاطب الأول للثاني حينما يتقدم.

• تاجر غنم يقول: هل يجوز أن يبيع الماعز دون ولدها المحتاج إليها لحداثة ولادته، ولكنه يعوضه عن أمه بحليب صناعي؟

– نص المالكية على جواز التفرقة بين الحيوان وولده المحتاج إليه، وذهب الشافعية وابن القاسم من المالكية إلى حرمة التفرقة إذا كان الولد محتاجاً لأمه لم يستغن عنها بالرعي وحده، ولذلك حرم الشافعية ذبح الأم إن لم يستغن ولدها عن لبنها ولا يصح حينئذ بيعها، وأما إن استغنى الولد عن لبن الأم فيكره ذبحها، وهذا سواء أكان الحيوان مما يؤكل أو من غير المأكول، وهذا يمنع أيضاً بيع الولد إذا كان من اشتراه إنما اشتراه ليذبحه، فإن شرط البائع على المشتري ذبحه صح البيع عند الشافعية، ومن خلال كلام الفقهاء هذا نقول للأخ السائل: إنه يكره بيع الأم دون ولدها المحتاج إلى لبنها إذا كنت متكفلاً بسقائه ما يعوضه عن لبن الأم ويحفظ حياته مراعاة لما يحدث هذا التفريق من هياج للأم وألم، ولاحتمال عدم قبول اللبن من غير أمه، وأما إن استغنى عن لبن أمه ولم يستغن عنها معه فلك ذلك، ولا كراهة في التفرقة ولا البيع، وأما إن كان البيع للذبح مباشرة فهذا جائز مجتمعين أو منفردين.

حكم الوصية الواجبة

• ما حكم الوصية الواجبة في الشرع التي يقرها القانون الكويتي؟ وإذا كانت غير جائزة، فماذا يفعل من ورث من جده بعد وفاة والده وصرف هذه الأموال بجهل منه بالحكم الشرعي وعرف به لاحقاً؟

– تجب الوصية بحكم القانون لأولاد الابن الذي مات في حياة أبيه، أو أمه، وأولاد أبنائه، وأولاد أبناء أبنائه مهما نزلت درجتهم، وتجب أيضاً لأولاد البنت الصلبية التي ماتت في حياة أبيها أو أمها، ذكوراً كانوا أو إناثاً دون أولادهم.

فإذا مات رجل في حياة أبيه أو أمه، وترك أولاداً، أو أولاد أبنائه مهما نزلوا، فإنهم يستحقون وصية في تركة جدهم، أو جدتهم، على أن يحجب كل أصل فرعه دون فرع غيره، وإذا ماتت امرأة في حياة أبيها أو أمها، وتركت أولاداً؛ ذكوراً أو إناثاً، فإنهم يستحقون وصية في تركة جدهم، أو جدتهم، أما أولاد أولاد البنت فلا تجب لهم الوصية.

والوصية كما تجب لأولاد من مات في حياة أبيه أو أمه؛ ذكراً أو أنثى، فإنها تجب كذلك لأولاد من مات مع أبيه، أو أمه في حادث واحد، ولا يدري أيهما مات قبل الآخر، كما إذا غرقا معاً، أو هدم عليهما بيت فماتا، أو احترقا في وقت واحد، ولم يعلم أيهما مات قبل الآخر، وإنما وجب الوصية في هذه الحالة، لأن الفرع لا يرث من الأصل، بسبب عدم العلم بتحقق حياته عند موته، فتجب الوصية لأولاد ذلك الفرع، تعويضاً لهم عما كان يمكن أن يؤول إليهم لو أنه ورث.

والسند الفقهي في وجوب الوصية هو ما ذهب إليه جمع عظيم من فقهاء التابعين ومن بعدهم من أئمة الفقه والحديث، من وجوب الوصية للأقارب غير الوارثين، استناداً إلى قول الله تبارك وتعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: 180)، إذ قالوا: إن الوصية للوارثين قد نسخت، وبقيت الوصية لغير الوارثين على حكمها، وهو الوجوب، والسند الفقهي في وجوب الوصية قضاءً إذا تركها من وجبت عليه، هو رأي ابن حزم الظاهري، وبعض فقهاء التابعين، ولقد قررت الوصية الواجبة في كثير من القوانين، منها قانون الوصية الواجبة الكويتي في 4 مواد لعام 1971م.■

الأولاد و«الموبايل».. الوقاية قبل التمكين

أستاذي، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، جزاكم الله خيراً أنتم والإخوة بمجلة «المجتمع» على كل ما تبذلونه، خاصة فيما يتعلق بتناول المشكلات الاجتماعية برؤى إسلامية.

مشكلتي التي قد لا تلقى اهتمام كثير من الوالدين والمجتمع بصفة عامة، هي «الموبايل» والأولاد! نعم نحن نواجه هذه المشكلة الآن، ودعني أولاً أعرفكم بنا:

لقد تزوجت منذ نحو 18 عاماً، ورزقنا الله بأحمد (17 عاماً)، وزياد (14 عاماً)، وفاطمة (5 أعوام)، طبيعة عملي تقتضي تأخري حتى السادسة مساء، وأحياناً قد أعمل في العطلة؛ مما يقلل -للأسف- من فرص قضاء وقت مناسب مع الأولاد.

أما زوجتي فهي تعمل مدرسة للمساعدة في أعباء المعيشة، وكما تعلم حجم الجهود التي يقضيها المدرسون من إعداد الدروس والتصحيح؛ فهي تقضي ما لا يقل عن ساعتين في ذلك، بالإضافة إلى الأعباء المنزلية وجزاها الله عنا خيراً.

زوجتي تحاول بقدر المستطاع متابعة الأولاد، ولله الحمد هم متفوقون دراسياً، ولكن لحبهم بل وشغفهم بالألعاب الإلكترونية يقضون عليها كل أوقاتهم بعد أداء مذاكرتهم، وتستغل والدتهم ذلك في دفعهم للمذاكرة بعقاب المقصر بحرمانه من اللعب.

المشكلة التي تواجهنا أن ابننا الكبير أحمد منذ التحاقه بالمرحلة الثانوية (أي منذ عامين) وهو يلحّ في طلب «موبايل» (هاتف) مثل باقي زملائه، زوجتي وعدته إذا حصل على أكثر من 90% هذا العام فستهديه بـ«موبايل»، وقد حصل على 94% ويطالبها بالوفاء بوعدها.

اعترضتُ على زوجتي لأنها وعدته دون مشورتي، وأنا أخاف عليه من حصوله على ذلك «الموبايل» حتى لا يطلع على مواد إباحية، ودار بيننا نقاش وصل إلى حد الاحتدام، فاتفقنا على استشارتكم وجزاكم الله خيراً.

د. يحيى عثمان

استشاري علاقات زوجية وتربوية
يمكن التواصل من خلال:
0014169973277
واتساب، فايبر، إيمو
y3thman1@hotmail.com

التحليل

رغم قيمة وأهمية موضوع طلب الاستشارة وهو: هل نسمح لولد في سن 17 عاماً بامتلاك «موبايل»؟

حقيقة إني أتعجب من إثارة هذا السؤال! لأنه بعد التفريط في تربية الأولاد لدرجة أنهم يقضون -كما يقول الأخ الكريم- كل وقتهم على الألعاب الإلكترونية بعد أداء واجباتهم الدراسية! وأي ضياع وأي تفريط بعد ذلك ثم يخاف من امتلاك ابنه لـ«الموبايل» كي لا يطلع على مواد إباحية!

كما ثبت علمياً، فإن عدم ترشيد استخدام الأولاد للإلكترونيات بصفة عامة قد يؤدي إلى الإدمان مثل إدمان المخدرات، بل يفوقه لصغر سنهم، وهناك العديد من الدراسات العلمية والتطبيقية الموثقة التي تتحدث عن الأخطار العقلية والنفسية والبدنية من استخدام الأولاد للإلكترونيات (وإن شاء الله تعالى سنتناولها في موضوع مستقل).

مع كل تقديري لكل المبررات التي ذكرتها من انشغالك حتى السادسة مساء في أيام العمل، كما أنه قد تتطلب ظروف عملك انشغالك في أيام العطلات، وكذلك انشغال زوجتك بأعباء التدريس والمنزل، فإن كل ما ذكرت لا يمكن أن يكون تبريراً لتضيع أولادك.. نعم تضيع أولادك.

كما أنه رغم تقديري لخوفك على ابنك من اطلاعه على مواد إباحية عند امتلاكه لـ«الموبايل»! رغم أن هناك ما هو أخطر من ذلك! نعم، هناك مواقع الإلحاد والتنصير

www.mugtama.com

والتشكيك في العقيدة وإثارة الشبهات من خلال غرف الدردشة، أو مجموعات الانفتاح الفكري التي تجذب للأسف كثيراً من الشباب تحت دعوى حرية التفكير والتعبير عما يدور في غرف الظلام، ناهيك عن مواقع التطرف الديني تحت دعوى الجهاد ومقاومة ظلم الحكام، وغير كثير من الموبقات الفكرية والسلوكية، فلم يعد الشر فقط في صورة أو فيديو جنسي لعلاقة طبيعية؛ بل إن الكارثة فيما ينشر عن الشذوذ، وكأن هناك حملات منظمة لنشره وتحويله إلى حرية شخصية وسلوك طبيعي مقبول.

ومَنْ ضمن لك أنه لم يطلع على هذا الوباء، موهماً إياك أنه يلعب؟

أنا ضد مبدأ أن أمنع ابني من امتلاك «موبايل» خوفاً عليه من اطلاعه على مادة إباحية؛ لأنه لو أراد أن يرى ذلك فسيتمكن من خلال الحاسوب أو «آيباد» أو من أصدقائه؛ لذا فالمشكلة ليست في «الموبايل»، بل المشكلة الحقيقية في كيفية بناء منظومة القيم التي تضبط أداء من يستخدم «الموبايل»، لذا منع ابني من تملك «الموبايل» ليس علاجاً لمخاوفنا عليهم، ولكن الحل هو التربية.

فمن المهم تربية ابني تربية تحول بينه وبين الوقوع في هذا المستنقع، ولكن كيف؟

هذا ما سأحاول أن أركز عليه في هذه الاستشارة.

1 - أنا النموذج والمثل الذي سيقتدي به ابني أولاً:

تخيل ابناً يرى والديه في البيت لا يفارقهما «الموبايل»، ولا حديث بينهما وكل منهما يعيش في عالمه الافتراضي، فما الصورة الذهنية التي سترسخ في ذهنه عن أهمية «الموبايل»، وقيمة وأهمية استثمار الوقت؟ ونوعية وطبيعة التفاعل الأسري؟ وفي المقابل، تخيل ابناً يرى والديه يحسنان استخدام «الموبايل»، لا شك أنه سيستلهم منهما قيمته في التواصل والبحث المفيد وغيرها من فوائده.

2 - التربية تراكمية:

إن ثمار التربية ليست آنية، بل هي تراكمية؛ بمعنى أن ما نبذله من جهود تربوية في مرحلة الأجنة(!) والرضاعة والطفولة والصبا نجد أثره في مرحلة البلوغ؛ فخوفنا من سوء استخدام أولادنا لـ«الموبايل» واطلاعهم على مفاسد الإنترنت مؤشر على سوء تربيتنا لهم.

3 - خطورة الفراغ:

«النفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل»؛ لذا فهناك قاعدة أساسية من المفاهيم التربوية، وهي محاولة إشغال الأولاد دائماً بالمفيد، والأهم هو توليد الدوافع نحو ذلك ليكون قيمة في حياتهم، فعندما يكون همّ الوالدين الأوحد هو التفوق الدراسي؛ فماذا بعد أداء الأولاد لدراستهم؟ أنت حر! من المهم مشاركة الأولاد في اختيار اهتمامات ذات قيمة، وعدم تركهم لأهواء النفس.

إن العامل المؤثر لترسيخ قيمة الوقت هو بيان أثر حسن الاستفادة منه؛ فرغم أهمية التبيان المعرفي لقيمة الوقت من المنظور الإسلامي، فإن مشاركة الأولاد في قضاء وقت مع فيديو يتناول قيمة أو قراءة مشتركة لكتاب أو التريض ثم مناقشتهم في العوائد وتقديرهم لما بذلوه؛ يولد لديهم الدوافع نحو الاستفادة من الوقت وعدم إهداره، كما أن جذب اهتمام الأولاد لموضوعات يحبونها لتنال اهتمامهم، ليس من عوائده فقط القيمة المضافة لحصيلة معارفهم، بل هو يبعدهم عن سلبيات الإنترنت.

4 - التعريف بالمخاطر:

قبل أن نسمح لأولادنا بـ«الموبايل»، يجب أن نوضح لهم المخاطر التي قد يواجهونها، وبيان سبب خطورتها والآثار المترتبة على التعامل معها، وكيفية تجنبها، وألا يتحرجوا أن يستعينوا بنا إذا ما تورطوا في أي منها؛ فعلى سبيل المثال؛ يمكن مد الأولاد بمادة علمية حول خطورة رؤية المواد الإباحية حتى لو كانت مجرد صورة، من وجهة نظر الشرع، وكذلك أثره على صحتهم العامة وصحتهم الجنسية، وما قد يترتب على أي مشاركة لهم من ابتزاز أو تهديد قد يجرهم إلى مستنقع الرذيلة، والاستدلال على ذلك من واقع جرائم تنشرها وزارة الداخلية، بالإضافة إلى مناقشتهم ودعمهم نفسياً.

5 - بناء الثقة:

من المهم جداً التعامل بثقة مع الأولاد وبناء الثقة لديهم بقدرتهم على إدارة استخدام «الموبايل» بما يرضي الله تعالى، وعدم التشكيك فيهم.

6 - المتابعة والتقييم وليس التجسس:

هناك فرق بين بث الثقة في تعاملنا مع الأولاد ومتابعتهم، وكذلك بين المتابعة والتجسس المنهي عنه شرعاً، وهناك مؤشرات يمكن الاستدلال بها على سلوك الأولاد في الإنترنت، مثل: حرصهم على الانفراد في غرفهم الخاصة، حصر معظم وقتهم على «الموبايل»، اضطرابات سلوكية أو أخلاقية أو لفظية، نوعية صداقاتهم الإلكترونية، متابعة الصفحات الإلكترونية التي يزورونها بالاتفاق مع شركات الإنترنت.

7 - المشاركة الإلكترونية:

من القنوات المهمة المشاركة الإلكترونية، مثل دعوة الأولاد للاشتراك معنا في مجموعات قيمة، وأن نطلب منهم إشراكنا في مجموعاتهم، والتواصل معهم إلكترونياً.

ولكن قبل كل هذه الأسباب المهمة وبعدها الابتهال إلى الله تعالى بالدعاء بأن يحفظ أولادنا وأولاد المسلمين، وأن نأخذ بأسباب الهداية، أداء للأمانة التي سيسألنا الله عز وجل عنها؛ لذا أرى أن تُوفي الأم بوعدها، ولكن بعد الأخذ بالأسباب التي عرضنا بعضها، والله خير حافظاً.■

عدم ترشيد استخدام الأولاد للإلكترونيات قد يؤدي إلى الإدمان مثل المخدرات

المشكلة ليست في «الموبايل» بل في كيفية بناء منظومة القيم التي تضبط أداء مَنْ يستخدمه

تنمية ذاتية

نجلاء محفوظ
كاتبة ونائبة رئيس تحرير «الأهرام»

نصائح للنجاح والسعادة تعرفها من الصلاة

حتى نسعد بكتابة أسمائنا بقوائم الفائزين بالدارين، ونشجع من يرغب ونأخذ بيده، فلنأخذ بالنصائح الواقعية التالية والمستمدة من الصلاة لنحقق بها النجاح والسعادة.

بالصلاة أدعية خاصة للركوع والسجود والقيام وكذلك لكل عمل ما يلزمه من الخطط

النهي عن الصلاة بعد الفجر والعصر يذكرنا بالتزام النواهي بدقة وأن ما يُباح بظروف يُمنع بغيرها

– بداية، ندرب الصغار على الصلاة ونشعرهم بأهميتها ومكانتها، ويجب التدريب على صناعة النجاح وحبه وجعله من أولويات الحياة، واستدراك ذلك لمن فاته الاهتمام به أو لم يحرص أهله على ذلك، وأن يثق أنه المسؤول الوحيد عن نجاحه وسعادته كمسؤوليته وحده عن صلاته.

– يعد التكبير في بداية الصلاة للدخول بها بمثابة التنبيه لضرورة التركيز وعدم الانشغال بغيرها؛ ولنفعل ذلك عند البدء بالعمل أو المذاكرة؛ فنتجاهل أي شيء آخر، ولو بالتفكير به لمنع تشتيت الذهن وتقليل التركيز وضعف الإتقان.

– يمهد الافتتاح بالدعاء في الصلاة لما سنفعله بأركانها، ويدفعنا لمضاعفة اهتمامنا بها؛ وهو ما يقدمه لنا الاستعداد الجيد للعمل أو للمذاكرة.

– نقرأ «الفاتحة» بكل الركعات؛ وهناك قواعد أساسية للنجاح تتكرر بكل عمل؛ من يتجاهلها يصنع الخسائر بيديه.

– يوصي العلماء بالتغيير بين السور القصيرة لتحسين التركيز ولزيادة الخشوع والتدبر للآيات الكريمة، وتؤكد القراءة الواعية للناجحين عبر العصور وبمختلف المجالات حرصهم على التغيير ببعض الأساليب لمنع الركود والجمود والتراجع ولتحقيق نتائج أفضل.

– بالصلاة أدعية خاصة للركوع وللسجود وللقيام؛ ولكل عمل ما يلزمه من الخطط والتنفيذ، ومن يتجاهل ذلك يوقع نفسه بالأخطاء.

– يُقال: إن السكينة جزء من أركان الصلاة؛ والهدوء أثناء العمل يحسن النتائج.

– إذا أخطأنا –سهواً– بالصلاة فنستدرك الخطأ بسجدة السهو ولها عدة أحكام؛ لاختلاف الأخطاء، وأخطاء السهو بالعمل يجب تداركها وعدم تجاهلها أو التحجج بأنها غير مقصودة؛ وكأن عدم التعمد ينفي حدوثها أو عواقبها.

– كثرة الحركات بالصلاة أو الضحك تبطلها ويجب تجنبها أو إعادة الصلاة عند حدوثها، وتعمد عدم الالتزام بالعمل أو الاستهانة به يؤدي لنتائج ضارة ويجب تجنبه.

– يُباح عند المرض ما لا يباح في غيره في الصلاة كالصلاة؛ جالساً أو راقداً، والعمل إذا مرضت –لا قدر الله– ارحم نفسك وعالجها.

ديون وخذلان

– لا تسقط الصلاة عند المرض، فهي فرض يجب فعله دوماً، والمرض لا يبرر تراجع الطموحات أو التكاسل بالعمل، فيمكننا أداء ما استطعنا أثناء المرض والاحتفاظ بطموحاتنا وعدم التخلي عنها لنحققها بعد الشفاء.

– الصلوات الفائتة كالديون يجب قضاؤها؛ فلا تسقط بالتقادم، وكل ما قمنا بتأجيله، فلنعتبره ديناً علينا نحو أنفسنا وليس تجاه أي إنسان مهما كانت أهميته لدينا ومهما ألحّ علينا، فلنخطط لتنفيذها على مراحل ولا نخذل أنفسنا بصعوبتها.

– صلاة الجماعة تنظمها أحكام خاصة يجب على الجميع الالتزام بها، والعمل مع فريق له قواعد يخطئ من يتخطاها ويوقع نفسه بالمشكلات.

– للصلاة بالصف الأول فضل كبير يستحق بذل الجهد للفوز به والحفاظ عليه، والتميز بالعمل يُسعد صاحبه ويمنح حياته قيمة تبرر الجهد المبذول للوصول إليه.

– الإخلاص بالصلاة وترك الرياء أو الاهتمام برأي الناس من أسرار قبول الصلاة –بمشيئة الله سبحانه– وعدم الاهتمام بالحصول على إعجاب الناس بالعمل وبالحياة يحررنا من الضغوط، ومن تبديد جزء من طاقاتنا لإرضائهم، والتركيز بفعل ما نثق أنه الأفضل.

– الصلاة وراء إمام تعلمنا اتباع تعليمات

www.mugtama.com

صلاة الجماعة تنظمها أحكام خاصة يجب الالتزام بها وكذلك العمل مع فريق

القائد، ولن ينجح عمل بلا قيادة واحدة.

– التصحيح للإمام عند الخطأ بأسلوب لائق يعلمنا طريقة التعامل مع أخطاء الآخرين، فعلينا ألا نتجاهل التنبيه لها ولا نتخطى حدود اللياقة، ونتذكر أننا جميعاً بشر نخطئ ونصيب ولا أحد منا معصوم.

لا للحد الأدنى

– لكل صلاة وقت، وهذا ينبهنا لاحترام الوقت وتجنب تبديده فيما لا ينفعنا، وتخصيص أوقات لكل مهمة والالتزام بها وهو من قواعد النجاح.

– فضل الصلاة بأول الوقت يذكرنا بأهمية أداء أعمالنا أولاً بأول وترك التكاسل.

– النهي عن الصلاة بعد صلاتي الفجر والعصر يذكرنا بالتزام النواهي بدقة، وأن ما يُباح بظروف يُمنع بغيرها.

– صلاة التطوع لها ثواب يجب عدم حرمان النفس منه، ويُجبر أي نقص بالصلوات المفروضة، ولنستفد من ذلك بمنح أنفسنا أوقاتاً إضافية لإتقان العمل ولاكتساب مهارات جديدة.

– فضل قيام الليل لا يفوز به إلا الأقلية، ليس لصعوبته، ولكن لأن البعض لا يعرفه وآخرون يرونه شاقاً، ويحرم الملايين أنفسهم من التميز بالعمل ويقبلون بحياة باهتة.

– تتنوع الصلوات كصلاة الاستخارة والتوبة والحاجة، وتهدف جميعاً للفوز بثواب أكثر، وبإمكاننا تنويع مجالات العمل ومضاعفة خبراتنا وألا نكتفي بالحد الأدنى.

– للتركيز بالصلاة؛ لا تصلِّ وأنت جائع أو متعجل أو بجانبك ضوضاء؛ وتجنب ذلك لتفوز بأفضل تركيز بالمذاكرة والعمل.

– صلاة الجنائز لها فضل كبير لدورها بمساندة أهل الميت وللدعاء له وإن كنا لا نعرفه، ومساعدة الغير تفيدنا دينياً ونفسياً وتشعرنا بالرضا الإيجابي عن النفس.

– سجدة الشكر مهمة، ويُعز نفسه من يتذكرها، والشكر سعادة ويضاعف الطاقات.

– صلاة الاستسقاء تعلمنا ضرورة الاستعانة بالله تعالى دائماً، وتمنحنا القوة النفسية والطمأنينة.

– الجمع بالصلاة عند السفر للتيسير على المسافر يعلمنا الرفق بالنفس.

– الصلاة عند الحرب لها مواصفات خاصة تنبهنا للحذر وعدم ترك الواجبات حتى عند الشدائد.

– لكل صلاة أحكامها وضرورة الوضوء، وإذا نقض الوضوء نخرج من الصلاة ونعيدها ولا نكملها، وهكذا كل خطة لها وسائلها وبدائلها.

– للصلاة شروط بالملابس، ولكل مكان ما يناسبه من الملابس اللائقة به.

– صلاة التراويح بها وقت للراحة، فلنحرص على الاستراحة خلال اليوم.

– النهي عن إجهاد النفس بالصلاة، فقد رأى الرسول صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين زينب بنت جحش تربط نفسها بعامود لتواصل الصلاة وهي متعبة، فنهى عن ذلك، وكذلك الإفراط بالعمل أو التفكير به يؤذي.

صبر وشدة

– ختم الصلاة مهم، والاهتمام بتجويد العمل يزيدنا نجاحاً.

– الانتشار بعد الصلاة مطلوب شرعاً؛ فالعبادة لا تقتصر عليها، وإسعاد النفس والأهل تستطيع جعله عبادة بنية طاعة الله سبحانه وإعطاء كل ذي حق حقه.

– الصلاة مقدمة للصلاح، ومن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لا صلاة له، والنجاح وسيلة لنكون مؤمنين أقوياء ونفيد أنفسنا ومن نحب.

– قال الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ (طه: 132)، فلنساعد أولادنا ومن نحب لينجحوا ونتحلى بالصبر.

– الضرب لترك الصلاة مطلوب شرعاً، والشدة مع النفس ومع الأبناء مطلوبة –باعتدال– عند التخاذل والتراجع.

– تجب النية بالصلاة، ويجب وضوح الهدف بالحياة وبالعمل وبكل تصرفاتنا، ومن الذكاء أن يكون هدفنا بالنجاح الدنيوي إعمار الحياة طاعة لله تعالى، فنُسعد أنفسنا بخيري الدين والدنيا.

– ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها؛ ولن نجني من أعمالنا إلا ما بذلناه بإتقان.

– الصلاة لا يؤديها أحد نيابة عن غيره حتى لو كان ميتاً، والنجاح مهمتنا وحدنا ولن يؤديه غيرنا.

– بالصلاة نقول: الله أكبر في كل حركة؛ ونتنفسها بكل خطواتنا في الحياة، ولا نخضع لمخلوق أبداً فنخذل أنفسنا.

– في صلاة الفجر نستيقظ من النوم للصلاة لنربح أجرها ونخاف من خسرانه؛ وفي النجاح يجب الرضا ببذل جهد خاص للفوز بالأفضل.

– الصمت في المسجد وأثناء الخطبة يكسبنا الإنصات والتحكم بالنفس، وهما من أهم مهارات النجاح.

– بعض الصلوات جهرية وأخرى سرية، وهي تعلمنا أن لكل مقام مقالاً، ونفس المواقف قد تتغير ردود فعلنا لها لتغير الأشخاص أو التوقيت.

– الإفساح للمصلين وعدم المنازعات يقودنا لحسن الخلق والسماحة، وهو من مفاتيح النجاح بالعمل وبالعلاقات.

– الصلاة إما أن تُقبل، وإما أن تُرد في وجوهنا، وبأيدينا إتقانها وإعطاؤها حقها، والحياة لنا أو علينا، فلنحسن لأنفسنا ونصنع نجاحات دينية ودنيوية تنير حياتنا وتسعدنا بالدارين.■

هل بوسع «إسرائيل» فرض قيادة بديلة في غزة؟

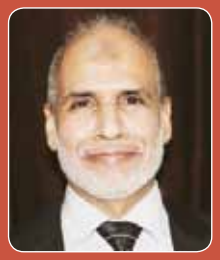

د. صالح النعامي
كاتب فلسطيني متخصص في الشأن الصهيوني

أبدت الأوساط السياسية والإعلامية الفلسطينية والعربية اهتماماً كبيراً بالخطة التي قدمها، أخيراً، وزير الخارجية الصهيوني «يئير لبيد» للتعاطي مع قطاع غزة؛ التي تقوم على مقايضة تحسين الأوضاع الاقتصادية في القطاع بالتزام فصائل المقاومة بوقف عملياتها ضد «إسرائيل»؛ التي أسماها «الاقتصاد مقابل الهدوء».

تنضم هذه الخطة إلى عدد كبير من الخطط التي قدمتها سابقاً جهات «إسرائيلية» ودولية، وتندرج في إطار مفهوم «السلام الاقتصادي»، الذي ينطلق من افتراض مفاده أنه يمكن للفلسطينيين أن يتعايشوا مع الاحتلال في حال تم تحسين ظروفهم الاقتصادية.

ومع ذلك، فإن هذه الخطة تكتسب أهمية خاصة ليس فقط لأنها صدرت عن ثاني أهم مسؤول في الحكومة الصهيونية؛ بل أيضاً لأن «لبيد» برر تقديم هذه الخطة، باعتراف نادر وصريح، بفشل السياسة الصهيونية القائمة على الخيار العسكري في التعاطي مع غزة؛ حيث يشي هذا الاعتراف بعمق أزمة الخيارات التي باتت تواجهها «إسرائيل» في قطاع غزة.

فـ«لبيد» يتفق مع العشرات من النخب العسكرية والإعلامية الصهيونية التي عبَّرت عن اليأس في الرهان على عوائد استخدام القوة ضد غزة، من منطلق أن التحدي الذي بات يمثله القطاع قد تعاظم بعد 4 حروب والعشرات من جولات التصعيد بين الفترة الفاصلة بين عامي 2006 و2021م.

يعي «لبيد» أن تصفية الخطر الذي تمثله غزة يتطلب شن حرب برية طويلة تنتهي بإعادة احتلال القطاع؛ وهو ما يعني سلفاً التسليم بسقوط عدد كبير جداً من القتلى في صفوف الجنود الصهاينة، وتورط «إسرائيل» في الوحل الغزي إلى أمد بعيد، في حين أن المجتمع الصهيوني لا يبدي أي استعداد لتحمل تبعات أي عمل حربي يسفر عن مقتل جنود؛ وهذا ما عكسته حركة الاحتجاج الجماهيري غير المسبوقة التي نفذها ذوو الجنود بعد حادثة مقتل أحد القناصة الصهاينة على حدود غزة برصاص مقاوم فلسطيني.

وعلى الرغم مما تقدم، فإن السماح بتنفيذ خطة «لبيد» ينطوي على خطورة كبيرة بالنسبة للمقاومة وغزة والقضية الفلسطينية بشكل عام.

فقد جاهر «لبيد» بأن خطته تهدف إلى إحداث شرخ بين حركة «حماس» والجماهير الفلسطينية في غزة؛ على اعتبار أن المرحلة الأولى من هذه الخطة تنص على مبادرة «إسرائيل» وقوى إقليمية والمجتمع الدولي بالعمل على تحسين الأوضاع الاقتصادية في قطاع غزة، مقابل وقف حركات المقاومة عملياتها ضد «إسرائيل»، والتزامها بالتخلي عن كل الجهود الهادفة إلى تعزيز قوتها العسكرية من خلال الامتناع عن تصنيع وتهريب السلاح.

أما تطبيق المرحلة الثانية من الخطة التي تشمل تنفيذ مشاريع إعادة الإعمار والبنى التحتية؛ فيتوقف على مدى التزام المقاومة بوقف عملياتها وجهودها لتعزيز قوتها العسكرية؛ مما يحملها المسؤولة أمام الجمهور الفلسطيني؛ ليس فقط عن عدم تطبيق هذه المرحلة، بل أيضاً تهديد «المكاسب» الاقتصادية التي تم تحقيقها في المرحلة الأولى.

وحسب منطق «لبيد»، فإن رد الفعل الجماهيري الغاضب على سلوك المقاومة قد يؤسس إلى مسار ينتهي بإقصاء حركة «حماس» عن حكم غزة؛ مما يوفر الظرف السياسي الداخلي أمام عودة السلطة الفلسطينية إلى القطاع أو ظهور قيادة محلية بديلة.

المفارقة أن «إسرائيل» تراهن على تحقيق مصالحها في غزة دون أن تتحمل أي تبعات مادية؛ على اعتبار أن دولاً عربية ستتحمل العبء الأكبر من تمويل هذه الخطة؛ كما يرى «لبيد».

خطة «لبيد» تدلل على أن الصهاينة لم يستخلصوا العبر من تاريخ الصراع مع الشعب الفلسطيني؛ الذي أثبت أن كل محاولة لترويض الفلسطينيين للتعايش مع الاحتلال مقابل تحسين الأوضاع الاقتصادية ستنتهي إلى فشل ذريع.

وتتجاهل هذه الخطة حقيقة أن حركة «حماس» تحوز على دعم وتأييد قطاعات هائلة من الجماهير الفلسطينية؛ وبالتالي لا يمكن لعاقل أن يتوقع أن تتخلى هذه الجماهير عن الحركة لمجرد أن الاحتلال سمح ببعض التحسينات على الوضع الاقتصادي.

إن سماح «إسرائيل» في الأعوام الماضية بتحسين الأوضاع الاقتصادية في الضفة الغربية بشكل كبير مقارنة بقطاع غزة، لم ينجح في وقف انهيار شعبية السلطة الفلسطينية وتحديدها رئيسها محمود عباس، الذي تؤكد آخر استطلاعات الرأي أن 78% من الفلسطينيين يطالبون باستقالته بسبب فشل برنامجه السياسي ومواصلته التعاون الأمني مع الاحتلال.

لم يستخلص الصهاينة الدروس من محاولاتهم الفاشلة لفرض قيادات فلسطينية وعربية تتوافق مع مصالحهم، ففي ثمانينيات القرن الماضي، سمحت «إسرائيل» بتشكيل «روابط القرى» في الضفة الغربية لتكون قيادة بديلة عن منظمة التحرير؛ حيث انتهت المحاولة بفرار قيادات هذه «الروابط»، وفي لبنان وفرت «إسرائيل» الظروف لتنصيب قيادات مارونية متحالفة معها لتتصدر الحكم في بيروت؛ حيث كانت النتيجة أن الموارنة قد خسروا ثقلهم السياسي.

تستمد المقاومة الفلسطينية شرعيتها من حقيقة أنها تمثل حركة تحرر وطني مشروعة ضد احتلال إحلالي، وما لم يدرك الصهاينة هذه الحقيقة؛ فإنهم سيواصلون تكرار تجاربهم الخاطئة.■

www.mugtama.com

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

@mugtama

mujtamaa@gmail.com

info@mugtama.com

mugtama magazine

موقع

المجتمع

ليسَ أحد مِن صَحابة النبي ﷺ ذو سعةٍ إلا وأوْقف

وقفُك
يمهد الطريق..
نحو تحقيق الهدف

المساهمة:
- الأموال الموقوفة
- الوصايا والهبات
- أموال الصدقات
- ريع أوقاف أخرى

وقفية الإعلام الهادف

رسالتنا..

المساهمة في إنشاء منظومة إعلامية مهنية هادفة، ودعم ونشر الإعلام القيمي الأخلاقي المستمد من شريعتنا الإسلامية وأخلاق الصحابة رضي الله عنهم، وبث الروح الإيجابية بالمجتمع واستثمار الوقفية في قطاعات الطفل والأسرة والشباب والمرأة.

رقم الحساب بيت التمويل الكويتي

011010626795

(IBAN)kw12KFHO 0000 0000 0001 1010626795

ويمكنك التبرع للوقفية عن طريق الإيداع المباشر في حساب الوقفية البنكي.

للتواصل

97228290

الرعايات الوقفية